جامعة الجزائر -1-
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقائد والأديان

أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم و اليهودية

-دراسة مقارنة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: مقارنة الأديان

إعداد الطالب

رابح بوترفاس

السنة الجامعية

1433- 1434هـ/ 2012- 2013م

جامعة الجزائر -1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم و اليهودية

-دراسة مقارنة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: مقارنة الأديان

إعداد الطالب

رابح بوترفاس

السنة الجامعية

1433-1434هـ/ 2012-2013م

جامعة الجزائر -1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد والأديان

أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم و اليهودية

-دراسة مقارنة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: مقارنة الأديان

إعداد الطالب
رابح بوترفاس

إشراف الأستاذة الدكتورة
شافية صديق

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د . يوسف عدار		جامعة الجزائر	رئيسا
أ . د شافية صديق	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	مقررا
د . عمر آل حكيم		جامعة الجزائر	عضوا
أ . ليليا شنتوح		جامعة الجزائر	عضوا

السنة الجامعية

1433- 1434هـ/ 2012- 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر أولا خالقي وأحمده حمدا يليق به على ما أسبغ علي من نعم لا تعد ولا تحصى، ومن ذلك توفيقه لي في إتمام هذا العمل.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة شافية صديق التي تكرمت بقبول الإشراف على هذا البحث، كما أتقدم لها بموفور الامتنان على نصائحها و توجيهاتها ومساندتها لي حتى وصل هذا البحث إلى بر الأمان.

و الشكر موصول إلى كل أساتذتي ومعلمي من الطور الابتدائي إلى الجامعي.

كما أتقدم بخالص الشكر – مسبقا – إلى أعضاء اللجنة الموقرة على قبولها قراءة هذا البحث ومناقشته.

ولا يفوتني أن أشكر كلا من:

- عمال المكتبات العمومية و الجامعية في كل من تلمسان و العاصمة و قسنطينة
- عمال و إداريي كلية العلوم الإسلامية على ما قدموه لي من تسهيلات و إعانات

و هذا من دون أن أنسى أصدقائي وزملائي في السنة النظرية للماجستير.

كما أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

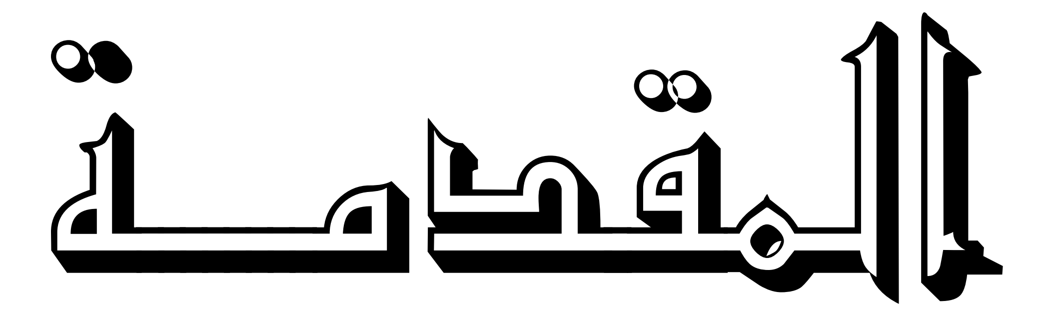
إهداء

إلى **أمي و أبي** –حفظهما المولى و رعاهما-

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى كل أصدقائي و زملائي...

أهدي هذا العمل


المقدمة

1- التعريـف بالموضـوع وطـرح الإشكاليــة

أدت البحوث الأثرية، خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، على يد الغربيين لتراث الشرق الأدنى القديم إلى الكشف على تراث حضاري بالغ الأهمية، كما أكدت دراسات علماء الميثولوجيا أسبقية العديد من الأفكار الفلسفية التي طرحتها أساطير المنطقة على نظيراتها في التراث الغربي، وهي الأفكار الأساسية التي طرحها العقل البشري عن الألوهية والحياة والموت وإمكانية الخلود والبعث ومصدر الشرور...

وبعد أن كانت التوراة هي الحكم الوحيد على ديانات الشرق الأدنى القديم، وهذا من خلال ما قدمته أسفارها من تصورات عن شعوب المنطقة وأحوال اتصالاتهم بالشعب العبري، صارت هذه الرقعة تحكي بنفسها تاريخها وأحوال سكانها القدامى وتعرض أفكارهم ومعتقداتهم وأساطيرهم، وذلك بعد فك الكثير من رموزها وطلاسمها، كما لاحظ الدارسون تشابهات بين ما ورد في الأسفار اليهودية و أساطير المنطقة، وعلى هذا تبرز إشكالية علاقة هذه الأساطير بما ورد في الدين اليهودي، ولما كانت دراسة كل الأساطير مهمة مستحيلة في مذكرة مقدمة لنيل الماجستير اقتصرت على الأسطورة الأهم بالإطلاق، وهي أسطورة الخلق التي تحكي كيفية وجود الحياة وأصل العالم و الإنسان، خاصة أن نصوص المنطقة غنية، نسبيا، فيما يخص هذه الأسطورة .

و على هذا تنحصر إشكالية البحث في: ما هي العلاقة بين أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم و نظيرتها في اليهودية؟ و ما مدى التشابه و الاختلاف الحاصل بين الطرفين ؟

والجدير بالذكر أنني في ربطي للخلق بالأسطورة لا أنوي تفسير الدين تفسيرا إلحاديا – كما قد يتبادر– أو أن أستخدم المعنى السلبي الشائع للأسطورة باعتبار ما جاء في هذه الديانات خرافات وأكاذيب، بل ما أريد القيام به هو دراسة اليهودية في ضوء ميثولوجيا الشرق الأدنى القديم، فالأسطورة في عرف علماء الميثولوجيا تختلف عن الخرافة أو الحكاية الشعبية أو غيرها مما لا يتضمن عنصر القداسة، فهي قصة مقدسة عن عالم الألوهية بصرف النظر عن أصلها، إلهيا كان أم بشريا، وهذا ما سأحاول تبيانه في الفصل الأول.

2- أسباب اختيار الموضــوع

الإطلاع على جهود علماء الميثولوجيا، وذلك للارتباط الوثيق بين علم مقارنة الأديان و علم الأساطير، كما أن هذا الأخير من أهم العلوم التي تخضع للأهواء والنزعات المختلفة، فالتعمق في هذا المجال هو الكفيل بعدم الوقوع تحت التأثيرات الإيديولوجية لكتاب هذا العلم .

دراسة الديانات والمعتقدات القديمة تمثل قاعدة أساسية لفهم أعمق للديانات الحية والمعاصرة، كما تساهم في إعطاء نظرة أكثر شمولية للدين.

سؤال بداية الحياة وأصل الكون سؤال ملح وضروري فمن لا يعلم من أين جاء لا يعلم أن يذهب ولا حيث يسير، كما أن نوعية الجواب على هذا السؤال هي التي تحدد طبيعة فلسفة الحياة والمعرفة عند الأفراد و الجماعات.

3- أهـداف البـحــث

من أهم الغايات والأهداف التي يسعى هذا البحث لتحقيقها مايلي :

دراسة المضمون الأسطوري الخاص بالموضوع في نصوص ديانات الشرق الأدنى واليهودية، وهذا طبعا بالاستعانة بما كتبه المختصون في ذلك.

إبراز أوجه الائتلاف و الاختلاف بين طرفي المقارنة، مع محاولة تحري الصواب– قدر الإمكان– دون التأثر بالكتابات الواقعة تحت الأثر الإيديولوجي أو الديني .

تحديد علاقة اليهودية بديانات الشرق الأدنى، وهذا ما يتيح لنا التعرف على طبيعة الدين اليهودي، والذي من خلاله أيضا يمكن معرفة الأصول القديمة لبعض الإسرائيليات التي تشكل تحديا أمام الفكر الإسلامي.

4- الدراسـات السابقـــة

في حدود اطلاعي، لا توجد رسالة جامعية تناولت هذا الموضوع، ما عدا مذكرتي ماجستير، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الأديان، تتقاطعان معه في عناصر معينة،

الأولى بعنوان: *قصة الخلق- مقارنة بين اليهودية والإسلام*، للسنة الجامعية 1990-1991، وهي تشترك مع هذه المذكرة في الشق اليهودي فقط، مع اختلاف طريقة تناوله، أما الثانية فتحت عنوان: *تأثير الوثنية في العقيدتين اليهودية والمسيحية* ، وقد نوقشت سنة 2010، وكما هو واضح فمجال هذه الدراسة واسع للغاية، كما أن هذا البحث لا يحوي مقارنة حقيقية.

أما الكتب المنشورة، فأقرب كتاب اطلعت عليه هو ل "كارم محمود عزيز" الذي يحمل عنوان: *أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم* ، وقد قام فيه بدراسة عدة أساطير في حين اهتم هذا البحث بدراسة أسطورة واحدة، محاولا استدراك ما فاته في دراسته العامة. و علاوة على هذا الكتاب يوجد دراسات أخرى تتماس مع هذا البحث، ومن ذلك: *قصة الخليقة بين الألواح المسمارية والكتب السماوية* ل"محمد فهد القيسي"، وهو يشترك مع هذا البحث في شق الديانة الرافدينية فقط، كما أن كيفية المعالجة اختلفت أيضا، وما يقال عن هذا الكتاب يقال عن كتاب آخر بعنوان: سفر التكوين البابلي ل"ألكسندر هايدل"، و من الدراسات السابقة و المهمة في هذا المجال كتاب *مغامرة العقل الأولى* ل"فراس السواح"، الذي يعتبر أحد أبرز دارسي الميثولوجيا في العالم العربي من خلال ما قدمه من كتب قيمة، ورغم أن كتابه السالف الذكر كان مرجعا للكثير ممن كتبوا في هذا المجال، إلا أن الملاحظ عليه أنه لم يدرس كل ديانات الشرق الأدنى، مثل: الديانة المصرية والفارسية.

وعلى العموم، لم أجد دراسة تناولت هذا الموضوع حسب الخطة التي سار عليها هذا البحث.

5- المنهـــج المتبـــع

استعنت في هذا البحث بالمنهج الوصفي ، وذلك من خلال عرض وبيان معتقدات و نصوص الشرق الأدنى الخاصة بأسطورة الخلق، و هذا ما قمت به أيضا بالنسبة للديانة اليهودية، كما يظهر أثر هذا المنهج في الفصل الأول من خلال بيان المقصود من تلك المصطلحات المخصوصة.

واستعنت أيضا بالمنهج التحليلي، والذي يتجلى بالأخص في محاولة تحليل النصوص اليهودية، من خلال الاستعانة بما كتبه المختصون، وأحيانا نقدها إن استوجب الأمر ذلك.

أما المنهج الأساس في هذا البحث، فهو المنهج المقارن، والذي اختص بفصل كامل هو الفصل الرابع، حيث حاولت فيه رصد أوجه الائتلاف والاختلاف بين طرفي المقارنة، وقد ختمته بخلاصة حاولت من خلالها تفسير ما سبق.

6-المصـادر والمراجــع

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، أذكر منها:

في جانب ديانات الشرق الأدنى القديم، استعنت بنوعين من المؤلفات، النوع الأول تلك التي درست ديانات وأساطير عديدة ، مثل: حضارة الشرق الأدنى القديم(الحياة الدينية) ل" محمد بيومي مهران" أو ديوان الأساطير ل"قاسم الشواف"، أو نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ل"جيمس بريتشارد"، والنوع الآخر هي الكتب التي اختصت بدراسة ديانة بعينها ، ومن ذلك كتب "خزعل الماجدي" : الدين المصري، المعتقدات الكنعانية، متون سومر... أو كتاب الديانة الزرادشتية لنوري إسماعيل، وغيرها من المؤلفات التي يمكن مراجعتها في القائمة المخصصة لذلك.

أما في الجانب اليهودي ، فقد استعنت ببعض التفاسير خاصة تفاسير سفر التكوين، إضافة إلى بعض الدراسات في الفكر اليهودي عموما والتوراتي على وجه الخصوص، وبعض الموسوعات المختصة في اليهودية مثل: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، وموسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، و Dictionnaire encyclopédique du judaïsme، كما حاولت الرجوع إلى بعض كتب رجال الدين اليهود، مثل "موسى بن ميمون" و"سعديا الفيومي"، و استعنت أيضا بكتاب "أساطير التوراة الكبرى" لكارم عزيز، خاصة في تحليله للنصوص التوراتية بالرجوع إلى النص العبري ، كما استعنت أيضا ببعض القواميس (عبرية-عربية) للبحث عن دلالات بعض الكلمات الواردة في النص العبري.

وعلى العموم راعيت في اختيار المصادر والمراجع الكتب المختصة وذات العلاقة المباشرة بالموضوع، ونأيت عن غيرها.

7- خطـــة البحـــث

قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول:

جعلت الفصل الأول لضبط مصطلحات البحث، حيث خصصت مبحثا لكل مصطلح، فكان المبحث الأول لمصطلح الأسطورة؛ وذلك لأهميته وغموضه في الوقت نفسه، والمبحث الثاني لأسطورة الخلق، أما المبحث الثالث والرابع فلديانات الشرق الأدنى القديم واليهودية على التوالي.

أما الفصل الثاني فعنونته بأسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم، وقسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في كل مبحث ديانة من ديانات المنطقة، فكان المبحث الأول للديانة الرافدينية، والثاني للديانة المصرية، والثالث للديانة الكنعانية، أما الرابع والأخير فللديانة الفارسية، مراعيا في ذلك الترتيب التاريخي، وقد درست في كل مبحث صفات الخالق أولا، ثم عملية الخلق ثانيا.

أما الفصل الثالث فجعلته لأسطورة الخلق في اليهودية، وقد قمت بدراستها في التوراة فقط؛ وذلك لاستحالة تقصيها في باقي النصوص في هذه المذكرة الموجزة من جهة، ومن جهة أخرى لأن باقي النصوص اليهودية مجرد شروحات وحواش على التوراة، لم تتفق كل الفرق اليهودية عل ى صحتها. وعليه قسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، خصص المبحث الأول لصفات الخالق، والثاني للخلق حسب الرواية الكهنوتية في سفر التكوين؛ إذ أن هناك روايتين متمايزتين لخلق، كما سيذكر لاحقا، وجعل المبحث الثالث للخلق حسب الرواية اليهوية في سفر التكوين، أما المبحث الرابع فخصص للخلق في الأسفار الأخرى.

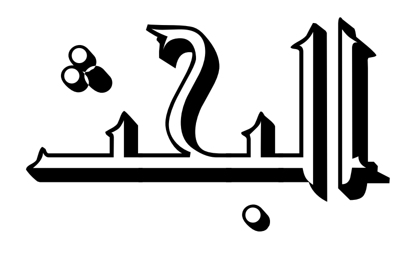
أما الفصل الأخير، وهو الفصل الرابع فقد أفرد للمقارنة بين ديانات الشرق الأدنى والديانة اليهودية، وذلك وفق ثلاثة مباحث، عني المبحث الأول بصفات الخالق، أما المبحث الثاني فبخلق العالم، والمبحث الثالث بخلق الإنسان، وختمت هذا الفصل بمبحث رابع جعلته كخلاصة حاولت فيها تفسير ما سبق.

وفي النهاية ذيلت هذا البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها.

وبالله التوفيـق

الفصل الأول:

ضبط مصطلحات



الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ لذلك سنقوم بتخصيص هذا الفصل لضبط التصورات وشرح المصطلحات الواردة في عنوان هذا البحث، وذلك حتى تتضح معالمه وترتسم حدوده، ويتسنى لنا بعد ذلك الإجابة عن إشكالياته.

والمصطلحات المعنية بالدراسة هي مصطلح أسطورة الخلق، وقبله مصطلح الأسطورة نفسه؛ نظرا لما يعانيه من اضطرابات وما يثيره من إشكاليات، وأخيرا مصطلحا اليهودية وديانات الشرق الأدنى القديم، طرفا المقارنة.

المبحث الأول: الأســطـــــــــورة

أولا – مفهومهــا

1- لغـــة

قيل في أصل كلمة "أسطورة" أنها مأخوذة من السريانية، حيث ترد "Serto" و"Sourto" بمعنى سطر ، ولكن الرأي الأشهر، عند القائلين بأجنبيتها، أنها معربة عن أصل إغريقي من كلمة"Istoriya"، كما نجد مقابلها في اللاتينية "Historia" وقد أطلقت عندهم على كتب التاريخ، وذكر بعضهم أن أهل الجاهلية أخذوها عن الروم واستخدموها بالمعنى نفسه عندهم[1] .

ومن الآراء الجديدة أن كلمة أسطورة انحدرت من اسم الإلهة "عشتار" الأكدية البابلية، حيث تحور اسمها في اللغات السامية القديمة إلى "إستار" و"إسطار" وصار في العربية "أسطورة"[2].

---

[1]- رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، ط1(دمشق: دار التكوين، 2009).ص 11

[2]- خزعل الماجدي، سحر البدايات، ط1(دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع، 2011) ص301

و لكن المماثلة، كما هو معلوم، لا تكفي وحدها دليلا على اقتباس لغة من غيرها، خاصة إذا لم يبرهن على كيفية حصول هذا الاقتباس.

و بالمقابل نجد باحثين آخرين يذكرون أن الجذر (سطر) وهو أصل اشتقاق لفظتنا، من أقدم الجذور في اللغة العربية، وذلك قبل الاحتكاك باليونان و الرومان[1] .

وبالرجوع إلى لسان العرب ،نجد مايلي [2] :

«(**سطر**) السَّطْرُ والسَّطَرُ الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها ...والجمعُ من كل ذلك أَسْطُرٌ وأَسْطارٌ وأَساطِيرُ ...والسَّطْرُ الخَطُّ والكتابة ... وقال الزجاج في قوله تعالى:﴿وقالوا أَساطير الأَوّلين﴾ ...معناه سَطَّرَهُ الأَوَّلون. وواحدُ الأَساطير أُسْطُورَةٌ ،كما قالوا أُحْدُوثَةٌ وأَحاديث وسَطَرَ يسْطُرُ إذا كتب قال الله تعالى: ﴿ن والقلم وما يَسْطُرُونَ﴾أَي وما تكتب الملائكة...والأَساطِيرُ الأَباطِيلُ . والأَساطِيرُ أَحاديثُ لا نظام لها. وقال قوم: أَساطِيرُ جمعُ أَسْطارٍ، وأَسْطارٌ جمعُ سَطْرٍ. وقال أَبو عبيدة: جُمِعَ سَطْرٌ على أَسْطُرٍ، ثم جُمِعَ أَسْطُرٌ على أَساطير وقال أَبوالحسن:لا واحد له؛ وقال اللحياني :واحد الأَساطر أُسطورة وأُسْطِيرٌ وأُسْطِيرَةٌ إِلى العشرة . قال :ويقال سَطْرٌ ويجمع إِلى العشرة أَسْطاراً ثم أَساطيرُ جمعُ الجمعِ . وسَطَّرَها أَلَّفَها ،وسَطَّرَ علينا أَتانا بالأَساطِيرِ. الليث: يقال سَطَّرَ فلانٌ علينا يُسَطِّرُ إِذا جاء بأَحاديث تشبه الباطل. يقال: هو يُسَطِّرُ ما لا أَصل له، أَي يؤلف ...»

نلاحظ مما ذكر، أن "أساطير" تعود إلى الفعل "سطر" أي كتب، كما أنها جمع لسطر والسطر هو الخط و الكتابة[1] ، ولكن للأساطير مدلول آخر زيادة على الكتابة والتأليف والاصطفاف، و هو كونها أباطيل ومؤلفات لا أصل لها، وأحاديث لا نظام لها .

[1] – رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، ص 13

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ط1(بيروت:دار صادر، د.ت)ج4،ص263

أما عن لفظ "أسطورة" (كمفرد) فهناك تردد في ربطها بأساطير، ولعل القول بأن أساطير لا واحد له هو ما دفع ببعض الباحثين للقول بأجنبية لفظ أسطورة، كما ذكر سابقا.

لم يرد لفظ أسطورة في نص حديثي [2]، أما عن القرآن الكريم نجد أنه لم ترد فيه أسطورة (بصيغة الإفراد) بل الوارد فيه هو لفظ أساطير (بصيغة الجمع) وفي تركيب بعينه هو "أساطير الأولين". أما السور المعنية فهي:

سورة الأنعام، الآية :25؛ سورة الأنفال، الآية :31؛ سورة النحل، الآية :24؛ سورة المؤمنون، الآية:83؛ سورة الفرقان، الآية :5؛ سورة النمل، الآية :68؛ سورة الأحقاف، الآية :17؛ سورة القلم، الآية:15؛ سورة المطففين، الآية:13.

ويرجع بعض الباحثين سيادة المدلول الثاني (الأباطيل، الخرافات...) في استعمال هذا اللفظ ، رغم مخالفته لأصل الدلالة اللغوية لمادة "سطر" إلى السياق العام الذي أطلق فيه هذا الوصف (أساطير الأولين)، إذ نسب هذا القول إلى "النضر بن الحارث" الذي تعلم أخبار فارس وأساطيرهم ليصرف الناس عن الاستماع إلى رسول الله فكلاهما – في زعمه- يتلو أساطير الأولين[3].

---

[1]- يقول "الزمخشري" في أساس البلاغة:«هذه أسطورة من أساطير الأولين:مما سطروا من أعاجيب أحاديثهم» راجع: أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود،ط 1(بيروت:دار الكتب العلمية، 1998)ج1ص454 ويذكر " ابن فارس" دلالة أخرى هي دلالة الاصطفاف ، فقد جاء معجم مقاييس اللغة:«(سطر)السين والطاء والراء أصل مطرد يدل على اصطفاف الشيء،كالكتاب والشجر،وكل شيء اصطف » ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام هارون، د.ط(بيروت: دار الفكر، د.ت)ج3ص72، 73

[2]- محمد حسن عبد الله، أساطير عابرة للحضارات، ط1(القاهرة: دار قباء، 2000) ص73

[3]- المرجع نفسه ص71،72 والجدير بالذكر أن الأسطورة في المعجم الفارسي هي قصص وحكايات الأوائل، وليس في تعريفها نص على أنها أكذوبة أو أضلولة ولا كلام تناقله ألسنة العوام ، بل يحتمل إلى حد كبير أن يكون مبنيا على الواقع وفي حدود المنطق. راجع حسين مجيب المصري، الأسطورة بين العرب والفرس والترك دراسة مقارنة، ط1(القاهرة:الدار الثقافية للنشر،2000) ص11

يقول الطبري في تفسيره:« فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن، قوله: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ وكل ما ذُكِر فيه الأساطير في القرآن»[1].

و رغم أن بعض المفسرين التزموا بأصل الدلالة اللغوية في تفاسيرهم، ومن ذلك تفسير "ابن كثير" لآية سورة الأنعام:« ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل والمنقول عنهم» [2]، إلا أن مفسرين آخرين رجحوا الدلالة العرفية لكلمة أساطير[3].

وفي السياق نفسه، نجد من يرى في أساطير الأولين تراث الأنبياء السابقين؛ حيث أن جوهر قضايا الرسل موجودة في أساطير الأولين سواء في بعدها الاعتقادي، أو الأخلاقي، أو الاجتماعي، كما أنه سبحانه نفى عن نبيه بآيات صريحة أنه مجنون أو شاعر أو كاهن أو ساحر، كما نفى عن القرآن أن يكون مفتريا أو ناقلا لمعلومات اكتتبها من القدماء أو قول شيطان رجيم، أو أي شيء آخر، لكنه لم ينف وجود ذلك المضمون ولا مرة في أساطير الأولين؛ لأن مدار الحوار لم يكن عن محتوى الأساطير، وإنما اتخذ المشركون الأساطير وسيلة لتفسير ما يسمعونه بأن القرآن من محمد لا من الله، كما أن هذا الاتهام لم يرد على لسان أهل الكتاب لأنهم يعرفون الكثير منها، ويقدرون قيمتها ونسبتها للأنبياء وليس في صالحهم ذكرها، ولكن هذا لا ينفي أن هذه الأساطير قد دخلها شيء من التحريف؛ وذلك لإعادة الصياغة البشرية لها[4] .

[1]- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط1(ب؟:مؤسسة الرسالة،2000)ج19ص238

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة،ط2(السعودية:دار طيبة،1999) ج3ص247 والأمر نفسه بالنسبة للزمخشري، راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، د.ط(بيروت: دار الكتاب العربي،1407)ج19ص239

[3]- محمد حسن عبد الله، أساطير عابرة للحضارات.ص72

[4]- يمكن مراجعة تحليل أصحاب هذا الرأي لمفهوم الأسطورة في القرآن الكريم عند: جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ط1(البحرين:جمعية التجديد، 2005)ص148-174

وبصرف النظر عن اتفاقنا مع هذا الرأي أو اختلافنا معه إلا أن الأكيد أن هناك ربطا بين أساطير الأولين والتراث اليهودي الذي يرتبط بدوره بتراث الأنبياء السابقين ، وهذا ما نجده في العديد من كتب التفسير، ومن ذلك ما أورده "الطبري" في تفسيره للآية السابعة من سورة الفرقان:« وقال هؤلاء المشركون بالله ... هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأوّلين، يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود»[1]

نستنتج مما سبق أن أصل الدلالة اللغوية للفظ "أسطورة" في اللغة العربية يعود للفعل "سطر"، ومصدره "السطر" والذي يعني الخط والكتابة، ويضيف بعض اللغويين دلالة الاصطفاف، وليس في هذا الأصل أي مدلول سلبي، كما أنه لا يوجد اتفاق كلي بين اللغويين في ربط هذا اللفظ بلفظ "أساطير" كما ذكر سابقا. وأما مدار الخلاف السابق فقد كان في لفظ "أساطير الأولين" كتركيب، الوارد في القرآن الكريم، وقد رأى فيه معظم الدارسين، خاصة القدماء، معنى مستهجنا أي دلالة على الأباطيل والخرافات، في حين لم يوافقهم الرأي آخرون، خاصة من المحدثين .

أما عن مفهوم الأسطورة في اللغات الأجنبية، فإننا نجد في الفرنسية كلمة "mythe" وفي الانجليزية كلمة "myth" وبالرجوع إلى القواميس بحثا عن مدلولهما، نجدهما تعنيان قصة قديمة تتحدث عن الآلهة والكائنات فوق البشرية وعن كيفية نشوء الكون ...ولكنهما أيضا رديفتا " fable"[2] خرافة أو"fallacy"[3] مغالطة أو فكرة خاطئة.

---

[1]- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19ص239 .

[2] - Le dictionnaire de poche, s.éd(France: Histoires d' Encre , 2005)P255,256

[3] - Oxford Advanced Learner 's Dictionary, éd :7 (China : Oxford university press, 2005)P969,970

و يرى مؤرخ الأديان " ميرسيا إلياد "[*] Mircea Eliade أنه إذا كانت لفظة أسطورة توحي بمعنى الوهم المتخيل في اللغات الأوروبية كلها؛ فذلك لأن الإغريق هم الذين رسخوا هذا المعنى منذ خمسة وعشرين قرنا[1].

وفي هذا الصدد يقول "مارسيل ديتيان" Marcel Detienne، أحد أبرز دارسي الميثولوجيا الإغريقية: «عندما يصدم العقل ويثار استهجان البعد الأخلاقي، تتواجد الميثولوجيا »[2]

فالحاصل أن طبيعة تلك الفترة الزمنية في اليونان والصراع الذي خاضته النزعة العقلانية ضد الميثولوجيا، إضافة طبيعة الميثولوجيا الإغريقية نفسها هو الذي وسم هذه اللفظة بمعاني الزيف والوهم؛ ذلك أن كلمة "ميثوس" في أقدم الوثائق باللغة الإغريقية ، كما يذكر أحد الباحثين[3]، تعني الحقيقة معبر عنها بأقوال.

2- اصطلاحا

من الصعب تعريف الأسطورة تعريفا جامعا مانعا، رغم الاهتمام المتزايد بها الملفت للنظر في معظم فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث نجد اضطرابا كبيرا في استخداماتهم لها تصل حد التناقض.

---

[*] – ميرسيا إلياد (1907 – 1986) عالم أديان، ولد في رومانيا، وعاش في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أسهم في تطور علوم الأديان وتاريخها، ويعتبر من رواد المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي) في دراسة الأديان. يمكن مراجعة ترجمته بتوسع في: ميرتشيا إلياده، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر: سعود المولى، ط1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007) ص9-36

[1] -المرجع نفسه، ص162. ويرى بعض الدارسين أن أصل أسطورة في اللغات الأوروبية يرجع إلى الكلمة الإغريقية" mutus " والتي تعني أبكم وصامت، وعلى هذا تصبح رديفة سر، وترتبط بالأشياء التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالرموز.راجع :

Luc Benoit , signes symboles et mythes, éd :10 (Liban: Editions Point Delta, 2012)P100

[2] – مارسيل ديتيان، اختلاق الميثولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)ص12

[3] – ميشال مسلان، علم الأديان مساهمة في التأسيس، تر: عزالدين عناية، ط 1(أبوظبي: دار كلمة،وبيروت:المركز الثقافي العربي، 2009)ص273

ويعود هذا الأمر للخلفيات الثقافية والدينية المختلفة، وتعدد المدارس الفكرية [1]التي عالجت الأسطورة، واختلاف زوايا النظر والمعالجة.

كما أن الصعوبة، في رأي بعض الباحثين [2]، تكمن في الأسطورة نفسها باعتبارها واقع ا ثقافيا معقدا، يمكن أن يتناول ويؤول من منظورات متعددة.

وعلى أي حال، فإننا نجد معظم علماء الميثولوجيا والإناسة والاجتماع قد استبعدوا صفة الخرافة والزيف من تعاريفهم للأسطورة[3]، كما أنهم بالمقابل ركزوا على أهميتها في حياة الفرد والجماعة[4].

وبالرجوع إلى القواميس والمعاجم المختصة، نجد أنها تعرف كالآتي :

– تفسير أو قصة رمزية تروي حادثة غريبة أو خارقة للطبيعة، تتميز بتناقلها وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق، نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة وفلسفة وإثارة وإلهام[5] .

– معلومات قصصية منظمة مثل المعتقدات التي تدور حول القوى الغيبية العليا، أو أصل العالم والنظم الاجتماعية أو تاريخ البشر، وتتجلى وظيفة الأسطورة في المجتمع في الدور الذي تقوم به لتسجيل وفرض النظام الأخلاقي الذي تنظم من خلاله الاتجاهات والأفعال الراهنة[1] .

[1]– يمكن مراجعة المدارس والاتجاهات المختلفة في دراسة الأسطورة عند: أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، ط 1(طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2006)ص40-47 وأيضا في:
Dictionnaire des religions, éd :3 (Paris :puf, 1993)vol 2, p1392-1395

[2]– مرسيا إلياد ،ملامح عن الأسطورة،تر:حسيب حاسوكة،ط1(دمشق:منشورات وزارة الثقافة،1995)ص11
وأيضا محمد عبد الرحمن يونس، مقاربات في مفهوم الأسطورة شعرا وفكرا، ط1(السعودية: النادي الأدبي في منطقة الباحة، 2011)ص33

[3]– راثفين، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، ط1(بيروت: منشورات عويدات، 1981)ص134، 135

[4]-Joël Schmidt, Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine
, s.éd(France: Larousse-Bordas , 2001)p5

[5]– محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، د.ط(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996)ص296

– قصة مقدسة أو دينية يتعلق محتواها بأصول أو بخلق الظواهر الطبيعية أو فوق الطبيعية أو الثقافية ، ويختلف المعنى الأنثروبولوجي للكلمة عن معنى مفارقة الحقيقة أو الاختلاق. وقد درست الأساطير باعتبارها مصادر جزئية للتاريخ الشفاهي وكمفاتيح للكشف عن القيم المجتمعية المهيمنة، وباعتبارها ميثاقا اجتماعيا[2].

– الأساطير قصص تأسيسية يتناقلها أعضاء مجتمع من جيل إلى جيل من ذ أقدم العصور، وهي تتميز عن سائر النصوص المرتبطة بها ارتباطا وثيقا، على غرار التعزيمات الشامانية أو التراتيل الطقوسية[3].

يظهر من هذه التعاريف تركيزها على أهمية الأسطورة و وظيفتها ، وقد ركزت على الوظيفة الاجتماعية منها خاصة، وقد اقتصرت بعض التعريفات على قسم معين من الأساطير.

من أهم مظاهر صعوبة تعريف الأسطورة هو اختلاطها بغيرها من الأجناس الأدبية الشبيهة بها ، وهنا يمكننا الاستعانة بالخصائص التي ذكرها "فراس السواح"[*] ، أحد أبرز الباحثين العرب في الميثولوجيا، حتى يتسنى لنا تمييز الأسطورة عن غيره١. ومن أهم هذه الخصائص مايلي[4]:

– من حيث الشكل، الأسطورة هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات... وغالبا ما يجري صياغتها في قالب شعري يساعد على ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة.

---

[1]- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص296.

[2]- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر: محمد محمود الجوهري، ط1(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ت؟)ص169،170

[3]- بيار بونت ميشال إيزار، معجم الإثنولوجيا والأنثربولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1(بيروت: دار مجد، 2006)ص68

[*]- فراس السواح: مفكر سوري ولد عام 1941، وهو باحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان، والمسائل التاريخية ذات العلاقة بهذا الميدان. انظر الغلاف الخلفي لكتاب فراس السواح، آرام دمشق واسرائيل،ط1(دمشق : دار علاء الدين،1995)

[4]- فراس السواح ،الأسطورة والمعنى،ط1(دمشق : دار علاء الدين،1997)ص12-14

– يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة من الزمن ، و تتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية .

– يلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسة في الأسطورة، فإذا ظهر الإنسان كان ظهوره مكملا لا رئيسا.

– تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية، وذلك مثل التكوين والأصول، والعالم الآخر، ومعنى الحياة وسر الوجود، وما إلى ذلك من مسائل التي التقطتها الفلسفة فيما بعد، مع اختلاف في طريقة التناول والتعبير. فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة العقلية، تلجأ الأسطورة إلى الخيال والعاطفة والترميز، وتستخدم الصور الحية المتحركة.

– تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي، ومع ذلك فإن مضامينها أكثر صدقا وحقيقية، بالنسبة للمؤمن بها، من مضامين الروايات التاريخية.

– ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين ، تعمل على توضيح معتقداته، وتدخل في صلب طقوسه ، وهي تفقد كل مقوماتها إذا انهار هذا النظام.

– تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.

و بعد ذكره لهذه الخصائص يخلص هذا الباحث إلى التعريف الآتي:«الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان»[1]

أهم ما يبينه هذا التعريف هو الطابع القدسي للفكر الأسطوري [1]، والذي يتفق مع النظرة الأنثروبولوجية الحديثة[2]، والذي يعتبر الفيصل في التعرف على النصوص الأسطورية لثقافة ما وتفريقها عن

[1]– فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ص14

باقي الأنواع الشبيهة كالملحمة والحكاية البطولية والحكاية الشعبية... ولا يخفى أن القدسية أو الحقانية باعتبارها أهم خصائص الأسطورة، هي بالنظر إلى معتنقيها، ولا يلزم الباحث الاعتقاد بصحتها.

من خلال ما سبق، يمكننا أن نعرف الأسطورة تعريفا إجرائيا بأنها قصة ترتبط بعالم الألوهية، تتميز موضوعاتها بالجدية والشمول، وترتبط بالنظام الديني؛ حيث تقوم بتوضيح المعتقدات والدخول في صلب الطقوس، وهذا ما يضفي عليها القدسية والسلطة العظيمة في نفوس المؤمنين بها.

ثانيا- أنـواعـهـــا

تعددت تصنيفات الباحثين للأسطورة، واضطربت تقسيماتهم لها، وهذا فرع عن اضطرابهم في تحديدهم لمفهومها.

و المطلع على هذه التصنيفات، يلاحظ على الكثير منها عدم وجود مقياس ظاهر اعتمد عليه في تصنيفها.

و من التصنيفات التي ذكرت في أكثر من مؤلف عربي، التصنيف الآتي:

الأسطورة التكوينية، التعليلية، الطقوسية، الرمزية، البطل الإله.

1- الأسطورة التكوينية

[1]- هذا على خلاف "عباس محمود العقاد"، مثلا، الذي يذكر أن الأسطورة لا تشتمل على عنصر الشعور بالطاعة والولاء للمعبود، فهي في رأيه ترجع إلى ملكة التجسيم والتصوير دون ملكة الإيمان والاعتقاد. انظر عباس محمود العقاد، الله، د.ط(بيروت: المكتبة العصرية، 1949) ص9، 10

[2]- إدموند ليتش، كلود ليفي شتراوس- البنيوية في مشروعها الأنثروبولوجي، تر: ثائر ديب، ط2(دمشق:دار الفرقد، 2010)ص88

وهي ما سمي في هذا البحث بأسطورة الخلق، والتي تعنى بتكون العالم وبروزه إلى الوجود، وقد خصص المبحث الثاني لتحديد مفهومها.

2- الأسطورة التعليلية

وهي وليدة التأمل الموضوعي في ظاهرة غريبة، تحتاج إلى تعليل. وقد عرفت -حسبهم- بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية في مقابل ما هو كائن من الظواهر الطبيعية[1].

3- الأسطورة الطقوسية

ترتبط هذه الأسطورة بالعبادة، وعنيت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لها[2].

4- الأسطورة الرمزية

تتضمن هذه الأسطورة رموزا تتطلب التفسير، ويرون فيها تعقيدا أكثر من الأسطورة الطقوسية أو الأسطورة التعليلية[3].

5- أسطورة البطل الإله

البطل في هذا النوع مزيج من الإنسان والآلهة، مهمته تنظيم الكون والمحافظة على الظواهر الطبيعية التي تعود على الإنسان بالخير، ولذا البطل صفات يحاول من خلالها الوصول إلى مصاف الآلهة[1].

---

[1]- مصطفى أوشاطر، الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، دكتوراه قسم : الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003.ص128

[2]- فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ط1(عمان: دار اليازوري، 2009)ص34

[3]-المرجع نفسه،ص38

من المشاكل التي تواجه هذا التصنيف عدم اعتماد مقياس مضبوط، وإن ذكر أحد الباحثين أن المقياس هو الموضوع أو التطور [2] ، والظاهر غير ذلك ، فالموضوع يبرز في أسطورتي التكوين والبطل الإله فقط، أما التعليل فهو وظيفة للأسطورة –عند القائلين بذلك– وعن الرمز فهو عنصر صميم في كل أشكال التعبير، ولا دليل على القول بوجود طور استعملت فيه الأسطورة التعليل والترميز، وكانت في أطوار أخرى خلوا من ذلك[3].

ومن التصنيفات التي اعتمدت على مقياس معين، تصنيفها على أساس الموطن، حيث قسمت إلى صنفين[4] :

1- أساطير أصلية

2- أساطير مهاجرة

ومن أشهر التصنيفات، تصنيفها إلى أساطير النشوء (الخلق)، و أساطير النهاية، و يضيف إليها بعض الباحثين أساطير التقويم السنوي.

1-أساطير النشوء (cosmogonie)

هي الأساطير التي تتعلق بميلاد العالم[5]، وهي موضوع دراستنا، وسنتطرق لها في المبحث الموالي.

2-أساطير التقويم السنوي

---

[1]- فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ص39

[2]- مصطفى أوشاطر، الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري،ص126

[3]- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، طبعة منقحة(بيروت: دار الفارابي،2005)ص33

[4]- مصطفى أوشاطر، الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري،ص111

[5] -Le Grand Larousse Encyclopédique, s.éd, (Italie:Larousse,2007)vol2 p1683

تحتل هذه الأساطير مكانا وسطا بين أساطير الخ لق وأساطير النهاية، ففيها تموت الطبيعة موتا مؤقتا لا نهائيا، ويعد هذا الموت الدوري بمثابة تجديد دوري منتظم للطبيعة[1].

3-أساطير النهاية (eschatologie)

هي الأساطير التي تشرح ما يحدث للإنسان بعد الموت [2]، كما تتحدث عن نهاية العالم، أو نهاية الحقبة الكونية[3].

والظاهر من هذا التصنيف أنه اعتمد أطوار الخليقة كأساس أو مقياس للتصنيف، وإن لم يصرح أنه اعتمد أساسا بعينه.

المبحث الثاني: أسطـــورة الخلـــــق

أولا- مفهومها

تتخذ أسطورة الخلق مكان المركز والبؤرة في أي منظومة ميثولوجية ، فهي الأسطورة التي تتحدث عن أصل الكون وكيفية ظهور العالم إلى الوجود، كما تتحدث في بعض الميثولوجيات عن أصل الآلهة وأنسابها وعلائقها مع بعضها البعض[4].

[1]- م.ف.ألبيديل، سحر الأساطير، تر: حسان ميخائيل إسحاق، ط1(دمشق: دار علاء الدين، 2005)ص26

[2] - Le Grand Larousse Encyclopédique. P1683

[3]- م.ف.ألبيديل، سحر الأساطير،ص26

[4]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ط1(دمشق : دار علاء الدين،2006)ص10

وفي تعريف آخر هي قصة رمزية عن بداية العالم، كما فهمها أو تصورها مجتمع ما [1]، كما أنها في مفهومها العام ، كل أسطورة تحكي كيفية إتيان شيء معين للوجود : العالم ، الإنسان، نوع من الحيوان، مؤسسة اجتماعية ...ولكن خلق العالم في الواقع يسبق الجميع[2].

و تؤلف أساطير الخلق القسم الأكبر من الأساطير المتداولة في العالم، حتى أن مفهوم الأساطير يطلق أحيانا على هذا الصنف دون غيره، وهذا ال صنف تداولته كل الشعوب والمجتمعات الإنسانية من دون استثناء[3].

و الواقع أن مسألة بدء العالم والحياة والإنسان، من أولى المسائل التي ألحت على العقل البشري، والتي تصدى لمعالجتها منذ القدم. فلا نكاد نجد شعبا من الشعوب إلا ولديه أسطورة أو مجموعة من الأساطير في الخلق والتكوين وأصول الأشياء، نزولا إلى العصر الحديث، حيث احتلت هذه المسألة الجانب الأكبر من ميتافيزيقا جميع الفلسفات، وشغلت حيزا هاما في العلوم الحديثة[4].

وعلى قدر ما كانت أسطورة الخلق والتكوين تصف بداية النظام الكوني وكيفية حدوث العالم، فإنها لعبت دورها كأنموذج أصلي لجميع الأساطير الأخرى، وإضافة إلى ذلك، فإن أساطير الخلق تؤدي دورها كأساس لتمركز وتكييف الإنسان داخل العالم ، ومن خلال ذلك يتحدد موقع الإنسان داخل الكون، وتتحدد النظرة التي على الإنسان أن ينظرها إلى البشر الآخرين، وإلى الطبيعة والعالم غير البشري

---

[1]- The New Encyclopædia Britannica, éd :15 (Chicago : Encyclopædia Britannica, 1993)vol 3,p720

[2]- Encyclopædia universalis, s.éd (Paris :?, 2002)vol 6,p652

[3]- صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، د.ط(تونس: دار بوسلامة،د.ت)ص15 و سليمان مظهر، أساطير من الشرق،ط1(القاهرة:دار الشروق،2000)ص6

[4]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ط11(دمشق : دار علاء الدين،1996) ص27

بكامله[1]، فلأسطورة الخلق أهمية رئيسة في تقييم العالم، وتوجيه الإنسان في الكون، وتحديد نمط حياته وثقافته[2] .

ثانيا- أنواعها

صنفت أسطورة الخلق حسب مقاييس متعددة، فصنفت أحيانا حسب جغرافيتها، كأن يقال مثلا: أساطير الخلق في إفريقيا أو أستراليا أو أمريكا الجنوبية. وأحيانا أخرى وفقا لمصطلحات بيئتها الحضارية والتاريخية، كأن يقال: أساطير مجتمعات الصيد وأساطير المزارعين وأساطير المجتمعات الحضرية. وكذلك يمكن تصنيف الأساطير المتعلقة بالخلق بناء على التكييف الفكري واللغوي، كأن يقال: الأساطير الهندوأوروبية والأساطير السامية، وما إلى ذلك. وفي الدراسات الحديثة صنفت أساطير الخلق غالبا، بناء على الفكرة السائدة، أو بناء على البنية الأساسية، وذلك مثل : فكرة الخلق من العدم ، أو البيضة الكونية ...[3]

و في هذا البحث سنقوم بذكر أ شهر أنواعها، بناء على كيفية الخلق، أو بناء على البنية الأساسية، حسبما جاء في السابق، ومن أشهر هذه الأنواع ما يلي:

1- الخلق عن طريق كائن علوي

ذهب أنصار المذهب التطوري الذي ساد القرن التاسع عشر في أوربا إلى أن فكرة خلق العالم بواسطة كائن علوي لم تظهر إلا في المرحلة العليا للثقافة، ومن هؤلاء: "جيمس فريزر"James Frazer و"إدوارد تايلور" Edward Tylor الذين نظروا إلى الثقافة والدين بمعيار التطور، كما ذهب بعض

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص29

[2]- The New Encyclopædia Britannica. p720

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص29،30

المستشرقين إلى أن عقيدة التوحيد وليدة عقل خاص هو العقل السامي [1]، وقد اعترض آخرون على فكرة تطور الأفكار الدينية، ومن هؤلاء العالم الاسكتلندي "أندرو لانج" Andrew Lang الذي كان يرى أن الإيمان بكائن علوي أو "رب أعلى" موجود في الحضارات التي صنفت أنها بدائية، كما لاحظ هو ذلك في كتابات علماء الأنثربولوجيا والإثنولوجيا، وقد أيد هذا الرأي الأنثروبولوجي النمساوي "ڤيلهلم شميدت" Wilhelm Schmidt الذي ناقض هو الآخر النظرية السابقة، مؤمنا بأنه كانت هناك فكرة بدائية عن كائن علوي، رغم اختلاف بعض خصائصه و سماته من حضارة إلى أخرى[2].

كما ذهب الباحث "واليس بدج" Wallis Budge*، منذ أوائل القرن العشرين إلى أن المصريين كانوا يؤمنون بإله واحد، موجود بذاته، خالد، أبدي وأزلي، كلي القدرة والمعرفة، لا يحيط به عقل، خالق للسماء و الأرض وما عليها، كما أنه خالق للكائنات غير الجسدية الذين كانوا رسله ينفذون مشيئته ويعملون كلمته...[3]

ورغم أن علماء آخرين، لم يوافقوا "واليس بيدج" فيما ذهب إليه، إلا أننا نجد مثل هذا التصور حاضرا في ديانات قديمة أخرى، مما سندرسها في الفصل الثاني، ومن أبرز هذه الديانات الزرادشتية (ديانة الفرس)، وقبلها بكثير ديانة "آتون" بمصر، بالإضافة إلى ديانات أخرى اقتربت من هذا التصور.

2- الخلق بواسطة والدي العالم

---

[1]- نبيل السمالوطي، الدين والبناء الاجتماعي، ط1(جدة: دار الشروق،1981)ج2، ص 59

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص 30، 31

*- واليس بيدج (1857-1934) مستشرق إنجليزي و عالم مصريات، نشر العديد من الأبحاث حول الشرق الأدنى القديم. انظر ترجمته بموقع http://en.wikipedia.org/wiki/E._A._Wallis_Budge . تاريخ الدخول:2013/02/12

[3]- واليس بيدج، الديانة الفرعونية، تر: نهاد خياطة، ط2(دمشق: دار علاء الدين، 1993) ص13

تتمتع هذه الأسطورة بانتشار كبير، حيث نجدها تنتشر في جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا والأمريكيتين[1]. وفي هذا النوع من الأساطير يظهر والدا العالم في مرحلة متأخرة من عملية الخلق، كما أنه في بعض الحالات تكون المادة الهيولية الأولى موجودة قبل مجيئهما، ولا يدرك الوالدان في الغالب بأن لهما نسلا، وهكذا يتم التعبير عن نوع من اللامبالاة فيما يتعلق باتحادهما. و في بعض الحالات لا يكون للجيل الأحدث من الآلهة هوية مستقلة في البداية ، وفي بعض مراحل تطور الأحداث في تلك الروايات، كانت المشاحنات والحرب الشاملة تندلع بين الأبناء و الآباء من الآلهة[2].

أما فصل والدي العالم عن بعضهما، فإنه يحدث في الغالب على يد نسلهما الذين يرغبون في الحصول على حيز أكبر، أو في الحصول على الضوء، حيث يدسون أنفسهم بين جسدي الوالدين[3] .

ومن أشهر الأمثلة على هذا النوع من الأساطير، ما نجده في الميثولوجيا السومرية حيث كانت السماء والأرض في حالة اختلاط ليقوم الإله "إنليل" بفصلهما، كما نجد أسطورة شبيهة بها في الديانة المصرية القديمة، إذ كانت الأرض والسماء في حالة عناق شديد، ثم يقوم أبوهما الإله "شو" بفصلهما[4].وسيتضح هذا النوع من الأساطير أكثر عند تعرضنا لعملية الخلق في بلاد الرافدين ومصر.

3- الخلق من أشلاء وحش أزلي

من كيفيات الخلق الأخرى أن ينتصر الخالق على وحش مائي، بعد خوض معركة معه، ومن أشلاءه يكون الكون[5].

1- Encyclopædia ,universalis, p 655

2- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص 32

3- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4- Encyclopædia universalis, p655

5- Ibid., p652

والمثال التقليدي له ذا النوع من الخلق موجود في القصة البابلية ، حيث يعمد الإله مردوخ إلى تيامات "الوحش المائي" فيشقها نصفين : يصنع الأرض من أحدهما و يصنع السماء من النصف الآخر، كما سنذكر ذلك في حينه.

وفي شكل قريب من هذه الأسطورة، صراع الإله البطل مع التنين والتي تظهر في ميثولوجيا الشرق الأدنى واليونان والهند، ويكون هدف هذا الصراع حفظ العالم من كارثة (مياه، جفاف) وإرجاعه لحالته الطبيعية، ومن ذلك صراع الإله "بعل" الكنعاني ضد التنين "يم" أو صراع إله "العاصفة" الحثي والتنين "إيلوينكاس"...[1]

4- الخلق من خلال البيضة الكونية

وهي مثل الخلق بواسطة والدي العالم ترمز إلى الوحدة، وقدرة مكوناتها على الانفصال أو الخلق [2]. والبيضة الكونية أحد رموز الخلق البدائية الأخرى التي انتشرت بشكل واسع، وفي كل نماذج فكرة البيضة الأزلية تقريبا، يتشابك عنصران: البيضة كرمز للخصوبة، والبيضة كرمز للقداسة ، و كذلك تعتبر البيضة رمزا للوحدة الكلية التي جاء منها الخلق كله، حيث توجد في داخلها إمكانيات الخلق الكامل[3].

و في أساطير الشرق الأدنى القديم لم تبرز البيضة الكونية عن طريق واضع للبيض، ممثلا في شكل حيوان، وإنما برزت عن طريق نشاط تلقائي للخالق أو الكائن الأزلي [4]. أما في الميثولوجيا السيبيرية و

[1]- Encyclopædia universalis, p656

[2]- The New Encyclopædia Britannica. p720

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص33

[4]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

الإندونيسية، فنجد أن كائنا أعلى في هيئة طائر، هو الذي يضع فوق المياه الأزلية بيضة يولد العالم من خلالها بعد ذلك[1] .

5- الخلق عن طريق الغواص الكوني

تروي هذه الأسطورة في شكلها العام أنه في البدء لم يكن سوى المياه، ثم يأمر الإله حيوانا برمائيا أن يغوص في أعماق المحيط الأزلي، وأن يحضر قبضة من الأرض. وينجح هذا الحيوان في إحضار شيء من الصلصال، ومن خلال ذلك يشكل الإله الأرض. ويعتقد أن لهذه الأسطورة أصلا ضاربا في القدم، وذلك لانتشارها المعتبر[2].

المبحث الثالث: ديانات الشرق الأدنى القديم

أولا- مفهومها

يتضح من عنوان هذا المبحث الربط بين هذه الديانات - محل الدراسة — وجغرافيتها، وعلى هذا فإن تحديد ماهيتها يرتبط أيضا بتحديد جغرافيتها، أي حدود الشرق الأدنى القديم.

---

[1]- Encyclopædia universalis, p655

[2]- Ibid., p653

نجد أن المفهوم السائد للإطار الجغرافي والحضاري للشرق الأدنى القديم يقوم على أساس أنه يتكون من: وادي النيل (مصر والسودان) وبلاد النهرين وسوريا الكبرى والجزيرة العربية وآسيا الصغرى (الأناضول) وفارس[1].

وقد لاحظ أحد الدارسين العرب [2] أن معظم الكتابات الخاصة بتاريخ الشرق الأدنى القديم تقوم بدراسة التاريخ العربي القديم دراسة مستقلة عن تاريخ الشرق الأدنى القديم، وكأن شبه الجزيرة العربية لا تمثل جزءا من الشرق الأدنى القديم، وعادة ما تقوم هذه الدراسات بتقسيم شعوب الشرق الأدنى القديم إلى مصر وبلاد النهرين وسوريا وبلاد الأناضول وبلاد فارس دون أن تشمل على جزء خاص بشبه الجزيرة العربية، ليدرس تاريخ هذه المنطقة، بعد ذلك، مستقلا تحت مسمى (بلاد العرب) أو تحت مسمى (شبه الجزيرة العربية).

وبمقابل هذا الاتجاه الذي أشار إليه هذا الدارس، نجد اتجاها آخر يولي اهتماما كبيرا لشبه الجزيرة العربية في تاريخ المنطقة، بل ذهب بعض الباحثين [3] إلى أن أحداث التوراة قد جرت في جزيرة العرب (وبالضبط في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر)، ولم تكن في فلسطين... و على هذا، فإن صحت هذه النظرية فإنها ستحدث تغييرا كبيرا في تصور تاريخ الشرق الأدنى القديم عموما، والديني منه على الخصوص.

وإذا كان بعض الدارسين قد قلص مساحة المنطقة المدروسة، عن قصد أو من دون قصد، كما ذكر سابقا، فإننا نجد البعض الآخر أضاف إليها مناطق أخرى ، ومن ذلك صاحب كتاب "حضارة

---

[1]- محمد عبد الحليم نور الدين، دراسات الشرق الأدنى القديم-رؤية مستقبلية، ملخصات أبحاث المؤتمر الدولي الأول لدراسات الشرق الأدنى القديم، المعهد العالي لدراسات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مارس2010. ص35

[2]- محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، د.ط (القاهرة: دار قباء، 1998)ص24

[3]- كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، تر:عفيف الرزاز، ط 6(بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997)ص11 ، وقد تابع "كمال الصليبي" بعض الباحثين منهم "فرج الله صالح ديب"، و"زياد منى" في كتاب "جغرافية التوراة: مصر وإسرائيل في جزيرة العرب " أنظر فضل عبد الله الجثام، الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، ط1(دمشق: دار علاء الدين، 1999)ص9

الشرق الأدنى القديم -الحياة الدينية "[1]، حيث أدخل ديانات المغرب القديم ضمن دراسته المخصصة لديانات الشرق الأدنى القديم.

وبخصوص هذا البحث فإنه لن يدرس كل ديانات الشرق الأدنى القديم، بل سيقتصر على ديانات الشعوب التي كانت لهم علاقة وطيدة باليهودية قديما، كما أن لهم من الأساطير المكتشفة ما يمكن من عملية المقارنة، وذلك من خلال النصوص التي اكتشفها علماء الآثار وقاموا بترجمتها ، وهذا ما سنتطرق إليه في المطلب الموالي. و الديانات المعنية بالدراسة هي: بلاد الرافدين، مصر، كنعان، و فارس.

ثانيا- نصوصـــــها

يرى دارسوا الحضارات القديمة أن نصوص الشرق الأدنى القديم قد ضمت أولى المحاولات في تاريخ الإنسان للتعبير عن الحياة وقيمها ومعانيها بأسلوب أدبي. و الملاحظ أن زمن الآداب في كل من بلاد الرافدين ووادي النيل أقدم من آداب الحضارات القديمة الأخرى في منطقة الشرق الأدنى أو غيرها من المناطق الأخرى، وعلى الرغم أن الزمن التي دونت فيه لا يتجاوز أواخر الألف الثالث قبل الميلاد إلا أن تلك النصوص الأدبية قد تم إنتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها، وقامت الأجيال المتعاقبة بنقلها شفاهة إلى أن دونت بأشكالها الأخيرة[2] .

ويرجح الباحثون أنه نحو 3000 ق.م وصلتنا أولى الرقم الكتابية من سومر(بلاد الرافدين) منقوشة بالطريقة الهيروغليفية (أي التصويرية)، وبعد ذلك بقليل ظهرت في مصر الكتابة الهيروغليفية التي بقيت تعتمد على الصورة رغم تطويراتها الجذرية اللاحقة، في الوقت الذي طور فيه السومريون كتابتهم إلى المسمارية. وعندما انتقلت السلطة إلى الساميين مع ظهور الأسرة الأكادية قاموا باستخدامها لتدوين

[1]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ط1(مصر :دار المعرفة الجامعية،2011)

[2]- جيمس بريتشارد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، تر:عبد الحميد زايد،د.ط (مصر:مطبعة هيئة الآثار ،د.ت)ص11

لغتهم، كما استخدمت بعد ذلك لتدوين اللهجتين الرئيسيتين المتفرعتين عن الأكادية، وهما اللهجة البابلية في الجنوب، واللهجة الآشورية في الشمال. ثم انتشرت الكتابة شرقا وغربا في أنحاء العالم[1].

و بعد مرور عدة قرون على ظهور الرقم الكتابية الأولى بدأت النصوص الأدبية بالظهور في ثقافة بلاد الرافدين على شكل نصوص ميثولوجية وصلوات وتراتيل، وعدد من النصوص الملحمية ذات الطابع التاريخي. ورغم أن نسبة النصوص الأدبية إلى جماع التركة النصية للثقافة الرافدينية تبقى ضئيلة ولا تتجاوز العشرين في المائة ، لكن هذا لا يقلل من أهمية هذا الأدب ، حيث كان أول أدب معروف في تاريخ الإنسانية وقد ترك بصمته الواضحة في آداب الشعوب الأخرى[2].

ومما لاحظه أحد علماء المسماريات [3] أن الأساطير السومرية، وهي أقدم الأساطير في تاريخ الحضارة الإنسانية لحد الآن، كانت على صلة بالمدارس ودور العلم السومرية أو بيوت الألواح أكثر من صلتها بالمعابد وكانت مادة للتعليم والاستنساخ ولم تكن مادة للوعظ والكهانة فقط، فقد عثر في مدينة "نفر" (وهي العاصمة الدينية المقدسة لسومر) على الأساطير والتراتيل والمرثيات في التل المعروف بحي الكتاب ولم يعثر عليها في معابد "نفر" الشهيرة.

وعن **النصوص المصرية القديمة** ، نجد أنه تكثر فيها النصوص السحرية والطقسية، والنصوص التاريخية التي تخلد فتوحات وانتصارات الفراعنة، وفيما عدا عدد لا بأس به من الصلوات والتراتيل، فإن التركة الأدبية المصرية تكاد تخلو من النصوص الأسطورية الكاملة، بالرغم من كثرة الإشارات في النصوص الطقسية إلى أساطير كانت معروفة ومتداولة شفاهة[4].

---

[1]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص 5،6

وصموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، تر: طه باقر، د.ط،(القاهرة: مؤسسة الخانجي، د.ت)ص9

[2]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص7

[3]- صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر،ص63

[4]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص7

أما كنعان، فلم تعرف الكتابة الأدبية بالمعنى الصحيح إلا مع نصوص مدينة "أوغاريت" التي يرجع تاريخ تدوينها إلى أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد[1].

وتتضح أهمية هذه النصوص إذا علمنا أن مصادر الديانة الكنعانية كانت سابقا تتمثل في ما كتبه بعض المؤلفين الإغريق، وهي كتابة كثيرا ما تنقصها الدقة، هذا فضلا على أنه لا يمكن الاعتماد على ما جاء في التوراة في هذه الناحية؛ لأنها كاتبها كان متأثرا بعداء اليهود وكراهيتهم للكنعانيين. أما المصادر الأخرى فهي إما مجتزأة جدا وإما متأخرة[2].

ففي عام 1929م اكتشف عدد كبير من النصوص الأسطورية، وذلك عن طريق حفريات رأس شمرا (أوغاريت القديمة والمدينة المرفأ على الشاطئ الشمالي لسوريا)، وهي تتضمن مفاهيم أسطورية أكثر قدما من تاريخ تدوينها. و رغم أن الوثائق التي حلت رموزها و ترجمت حتى الآن غير كافية لكي تعطي نظرة كاملة عن الدين والميثولوجيا الأوغاريتية؛ حيث إن فراغات تقطع الروايات، وبدايات ونهايات الأعمدة قد تكسرت، كما أنه لم يتفق تماما على ترتيب المشاهد الميثولوجية، إلا أن هذه النصوص هي – لحد الآن– المصدر الأساس في دراسة الديانة الكنعانية[3].

أما عن الديانة في فارس فإننا لا نعرف عنه ا إلا من مصادر متأخرة، شأنها في ذلك شأن التوراة كتاب اليهود المقدس؛ ذلك أن كتاب الفرس الزرادشتيين المقدس "الأفستا" قد ظل ما يقارب أحد عشر قرنا يتداوله القوم شفويا، و لم يتم نسخه إلا في القرن السادس الميلادي، وأن صاحبه "زرادشت" إنما عاش على الأرجح في الفترة 660-583 ق.م[4] .

---

[1]– فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص7

[2]– مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ط1 (دمشق: دار دمشق،1987)ج1،ص189
و محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية،ص211

[3]– مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية،ج1، ص189، 190

[4]– محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية،ص425

والأفستا التي بين أيدينا اليوم لا تبلغ ربع ما كانت عليه ، حيث بقي أربع أجزاء من أصل واحد وعشرين جزء [1]. وهي مجموعة مضطربة من الأدعية والصلوات والأغاني والأساطير وقواعد السلوك والطقوس... أما "الزندأفستا" التي اشتهرت حاليا فهي تعني تفسير الأفستا[2].

ومن أهم الكتب الدينية في الزرادشتية "البندهش" والذي يحتوي على قصص وحكايات قديمة لها قيمتها عن خلق العالم وغير ذلك مما يعود على معظم الأجزاء التي ضاعت من الأفستا. وفي هذا الكتاب الديني المتأخر تظهر الرغبة في تفصيل ما جاء مجملا في الأفستا، ويتألف هذا الكتاب من قسمين: القسم الأول يتحدث بشكل خاص عن خلق الكون. أما القسم الثاني فيحتوي قصصا وأساطيرا، وذكرا لملوك الدولة "البيشدادية"، وهي أول الدول في تاريخ الهضبة الإيرانية، ويمتد فيه السرد التاريخي إلى ظهور "زرادشت"[3].

المبحث الرابع: اليـــهـــوديـــــة

أولا– مفـهـومـهـــا

يذكر "عبد الوهاب المسيري" [*] في موسوعته أن اليهود يشيرون إلى عقيدتهم بكلمة "توراة". أما مصطلح "اليهودية" فقد ظهر أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن

[1]- خليل عبد الرحمن، أفستا"الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية"، ط2(دمشق: دار روافد، 2008)ص9

[2]- نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية، ط3(دمشق: دار علاء الدين، 1999)ص21، 26

[3]- المرجع نفسه،ص26

[*]- عبد الوهاب المسيري (1938-2008) مفكر إسلامي مصري،كان يساري التوجه في بداياته، من أهم أبحاثه في اليهودية موسوعته التي طبق عليها نماذجه التفسيرية. انظر ترجمته بموقع http://ar.wikipedia.org/ تاريخ الدخول:2013/01/24

عبادات جيرانهم. ويرجع بهذا المصطلح بالذات إلى "يوسيفوس فلافيوس" Josephus Flavius (38م- حوالي100م) المؤرخ اليهودي المتأغرق الذي استعمل هذا المصطلح إشارة لعقيدة أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهوذا، مقابل "الهيلينية" أي عقيدة "أهل هيلاس" . وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم[1].

أما المؤرخ "كمال الصليبي" [*] فيرى أن أول من اشتق لفظة "اليهودية"من اسم "اليهود" للدلالة على ديانتهم، هو الرسول "بولس" وذلك في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية (1:13،14) ولا توجد أي إشارة معروفة إلى اسم لهذه الديانة من قبل[2] .

أما المصطلح "يهودي" فقد مر هو نفسه بأطوار عدة إلى أن اكتسب المعنى الديني الحالي ، فأصل هذه التسمية "يهودي" نسبة إلى "يهوذا" بن يعقوب، ومن الواضح أن "إقليم يهوذا" اكتسب اسمه من هذا السبط بعد أن تمت سكنى بني إسرائيل لفلسطين على أيام "يشوع بن نون"، ثم اكتسبت هذه التسمية معنى سياسيا بعد انقسام مملكة "سليمان" إلى مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب، ولكن بعد السبي الآشوري ثم البابلي(586ق.م) بدأت كلمة يهودي تفقد المعنى السياسي لتكتسب معنى دينيا جديدا، حيث أصبحت هذه الكلمة تعني الشخص الذي يدين باليهودية (ديانة كل من الإسرائيليين و اليهوذيين)، ولعل سبب انتشار استخدام اليهودية على حساب الإسرائيلية يعود للجهود التي قام بها ملوك "يهوذا" في محاولة للالتفاف حول مركز ديني موحد [3]. و على حسب هذا الرأي فمصطلح اليهودية كاسم له مدلول ديني، قد ظهر في وقت أقدم مما ذكر سابقا.

---

[1]- عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،مج5،ص2.

[*]-كمال الصليبي(1929-2011) مؤرخ لبناني من والدين بروتستانتيين، له العديد من الأبحاث حول اليهودية والمسيحية، وله نظريات حول جغرافية التوراة وشخصياتها أثارت الكثير من الجدل. انظر ترجمته بموقع http://ar.wikipedia.org/ تاريخ الدخول:2013/01/24

[2]- كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ط1(عمان: دار الشروق،1999)ص25 ،

[3]- محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ط1 (القاهرة: دار قباء، 1998) ص35، 54 ،55

هذا عن تاريخ المصطلحين "يهودية" و"يهود"، أما عن ماهية اليهودية نفسها فيمكننا أن نعرفها بأنها الديانة التي ينتسب معتنقوها إلى النبي والقائد "موسى"، حيث يعتقدون أن "يهوه" أوحى إليه بالتوراة، وأمره بتبليغها لبني إسرائيل، شعبه المختار.

ولكن كثيرا من الدارسين يرون أن اليهودية قد تبلورت بعد موسى بكثير، فيرجعها بعضهم [1] إلى إصلاحات الملك "يوشيا" التي قام بها، بعد أن أعلن الكاهن الأعظم "حلقيا" عن العثور على سفر الشريعة (في العام 624ق.م تقريبا)، فهذه هي بداية ما يمكن تسميته من ذ ذلك الوقت ب "اليهودية" كنظام ديني قائم على شريعة مكتوبة وطقوس ثابتة، خلافا لما كانت عليه العبادة الإسرائيلية التقليدية وغير المنتظمة للإله "يهوه" في السابق.

و لكن معظم الدارسين[2] ربطوها بالكاتب والكاهن "عزرا"[*]، الذي قاد جماعة المسبيين من بابل إلى أورشليم (حوالي 458ق.م)، واعتبروه مؤسس الدين اليهودي كما نعرفه الآن.

ثانيا- نصـوصـــــها

---

[1]- كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص24،25

[2]- من أبرز الباحثين العرب الذين درسوا دور هذه الشخصية في صياغة الدين اليهودي "إسماعيل راجي الفاروقي" ، فهو في رأيه من رجح العنصرية على العالمية والتجسيمية على الحنيفية. انظر ليندة بوعافية، منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010.ص111-114. كما نجد "باروخ اسبينوزا"(ت 1677) الفيلسوف اليهودي ورائد الدراسات النقدية الحديثة في الغرب يرجح أن عزرا، وليس موسى هو مؤلف التوراة.راجع باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، د.ط(بيروت:دار التنوير،2008)ص269 .ويمكن أيضا مراجعة الدراسة التفصيلية المعززة بالشواهد التاريخية لفراس السواح عن أثر عزرا والذي يعتبره "أبا لليهودية" وذلك في كتابه آرام دمشق واسرائيل، ص278-290.

[*]- عزرا: عالم بالشريعة ومعلم الدين، وقد كان كاهنا من نسل رؤساء الكهنة، وبناء على طلبه سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم، وعاد مع المجموعة الثانية حوالي458ق.م . انظر ملاك محارب، دليل العهد القديم، د.ط (مصر: مكتب النسر،1997)ص80.

وتذكر دائرة المعارف الكتابية أن لعزرا مكانة فريدة في التراث اليهودي ، إذ يعتبرونه المؤسس الحقيقي لليهودية، ومؤسس المجمع العظيم (السنهدريم) . وكان له دور بارز في انعاش الحالة الروحية للشعب ، والعودة بالعبادة في الهيكل. – الذي بناه زربابل وأصحابه بعد العودة من السبي – إلى ما كانت عليه في الهيكل الأول الذي بناه سليمان . كما كان له دور بارز في كتابة بعض أسفار العهد القديم ، فينسب إليه التقليد اليهودي كتابة سفري الأخبار وسفري عزرا ونحميا ، وأنه هو الذي جمع أسفار العهد القديم في كتاب واحد. انظر : نخبة من أشهر أساتذة الكتاب المقدس واللاهوت، دائرة المعارف الكتابية، مادة: عزرا.

لليهودية عدة نصوص مقدسة كغيرها من الأديان، ولكن أبرز هذه النصوص أو الكتب المقدسة – على الإطلاق– التوراة والتلمود. وفيما يلي تفصيل في مفهومهما.

1– التـــوراة

وتعرف أيضا بالعهد القديم، وقد عدلت عن هذه التسمية لأنها تعكس المفاهيم المسيحية التي ترى العهد القديم في مقابل العهد الجديد المسيحي، ولعل "بولس" هو أول من أطلق هذه التسمية كما جاء في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس 14:3.[1]

أما التسميات اليهودية فهي :" **تناخ** " (**תנ"ך**) وهي الحروف الأولى للأقسام الثلاثة التي تتألف منها التوراة بمعناها العام : توراه ، نفيئيم ، ختوفيم (**תורה، נביאים، כתובים**) (أي التوراة، الأنبياء، الكتابات)[2]، أو "**المقرا**" (**מקרא**) وتعني النص المقروء، ومن التسميات الأخرى عند اليهود "**المسورة**" أو "**المسورت**" ويعنون به النص المقدس المروي عن الأسلاف رواية متواترة[3].

أما عن كلمة "توراة"فهي من أصل عبري مشتقة من فعل "يوريه" بمعنى يُعلِّم أو يوجِّه، ولم تكن كلمة "توراة" ذات معنى محدد في الأصل؛ إذ كانت تُستخ دم بمعنى وصايا أو شريعة أو علم أو أوامر أو تعاليم، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبحت تشير إلى "البنتاتوك" أو أسفار موسى الخمسة (مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد). ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله، مقابل تفسيرات الحاخامات. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة، ويبدو أن هذا

[1]– محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل"الحضارة والتوراة والتلمود"، ط1(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1999).ج3، ص12

[2]– Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, s.éd (Paris : Les édition du cerf, 1993)p155

[3]– محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل"الحضارة والتوراة والتلمود"،ص12،13

قد تم بتأثير الترجمة السبعينية التي ترجمت كلمة "توراة" بالكلمة اليونانية "نوموس" أي القانون، وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة "توراة" مرادفة تقريباً لكلمة "شريعة"[1].

أما عن محتوى التوراة حسب أقسامها الثلاثة، والتي ذكرناها سابقا، أي : التوراة، والأنبياء، والكتب أو أسفار الحكمة ، فإن التوراة والأنبياء يسيران في نسق تاريخي متصل، ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السبي البابلي في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وهما معا بمثابة ملحمة تغرس في نفس القارئ إيمانا بعبقرية هذه الفئة الصغيرة من الناس، ويمضي السرد التاريخي مشحونا في مواضع معينة بالشرائع والقوانين وقواعد السلوك وأركان الاعتقاد . أما القسم الأخير أي الكتب ، فهو تراث أدبي يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص عن الأحداث التاريخية للشعب اليهودي [2].

ثانيا- التلمـــــــود

التلمود كلمة مشتقة من الجذر العبري "لامد" الذي يعني الدّراسة والتعلم، والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود [3] ، فالتقليد اليهودي يؤكد أنه بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح الحجر، الذي تسلمه موسى من الرب على جبل سيناء، فقد تسلّم أيضا من هـ تفسيرات وشروحا لهذا القانون، أو ما يدعى بالقانون الشفهي [4]، و لا تؤمن كل الفرق اليهودية بقداسته، بل نجد بعضها تهاجمه

[1]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ص111

[2]- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4(دمشق: دار القلم،1999) ص12، 13ويمكن مراجعة الدراسة التفصيلية لأسفار التوراة في كتاب: Kamel Dahoumane El Hassani, L'origine de la Bible, s.éd (Alger: Dar El Khaldounia, 2009)p112-148

[3]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص 2482.

[4]- برانايتس ، فضح التلمود، ط3 (بيروت: دار النفائس، 1985)، ص 21، 22 وأيضا:
Maurice –Ruben Hayoun, L'exégèse juive, éd : 1(Paris : PUF, 2000) p16

وتنقده، و من هذه الفرق قديما فرقتي السامريين و الصدوقيين، و وسيطا فرقة القرائين، و حديثا فرقة الإصلاحيين[1].

و"المشنا" هي متن التلمود، وهي مجموعة التفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت ها الأجيال شفاهة من عهد "موسى" حتى عهد "يهوذا هناسي" الذي قام بجمعها و تنسيقها في نهاية القرن الثاني ميلادي وبداية القرن الثالث ، وأصبحت بذلك أساس التلمود ومتنه الذي امتدت أجياله تاريخيا مرورا بأجيال المشنا وما سبقها حتى انتهت شروحها المعروفة ب"الجمارا" إلى عشرة قرون، خمسة قبل الميلاد ومثلها بعده. وتتضمن المشنا شروحا وتفاسير مفصلة للتوراة وأحكامها، كما تشتمل على أحكام وقوانين لم ترد في التوراة، وإنما تم استنباطها قياسا- عن طريق الحاخامات- لتوافق ظروف اليهود وأحوالهم طبقا لطبيعة العصر الذي يعيشون فيه [2].

ويلاحظ أن التلمود كتاب ضخم متعدد الأجزاء، مجلداته كثيرة وضخمة تصل في بعض الطبعات إلى ما يزيد على عشرين مجلدا، وهو يضم بداخله وجهات نظر متناقضة تماما، فهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية ...[3]

و كخلاصة لما سبق، نذكر أن اليهودية كمصطلح يدل على جماعة دينية، ظهر متأخرا، كما أن أسبابا سياسية وتاريخية هي التي رجحته و كتبت له الذيوع على حساب بقية الأسماء الأخرى. و وجدنا أن اليهودية رغم إصرار أتباعها على ربطها بموسى القائد والنبي باعتبارها وحي "يهوه" إليه، إلا أن كثيرا

---

[1]- مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، ط1(الجيزة: دار الطيبة، 2008) ج3، ص 8.

[2]- المصدر نفسه، ص 9.

[3]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص 2482 وعن الفكرة الأخيرة للمسيري نجد الحاخام الق بلاني "أدين شتاينسالتز"(1937-) يقول :« وكونه [أي التلمود] مجموعة من نصوص قانونية أسطورية أو فلسفية ، فهو مزيج فريد في المنطق والبرجماتية الحاذقة و التاريخ والعلم والفكاهات...» أدين شتاينسالتز، مدخل إلى التلمود، تر: فينيتا بوتشيفا الشيخ، ط 1 (دمشق: دار الفرقد، 2006)ص12

من الدراسات تربطها بشخصيات متأخرة عنه بكثير، خاصة شخصية "عزرا" الكاهن والكاتب الذي يعتبر مؤسس اليهودية الحقيقي.

أما عن نصوص اليهودية، فتبرز التوراة كمحور لهذه الديانة وأساس لها، وما باقي النصوص إلا شروحات و حواشي عليها، وحتى التلمود الذي يعتبر أبرز كتاب بعد التوراة ما هو إلا شرح و تفسير لها، كما أنه لم يرق إلى إجماع الفرق اليهودية عليه كالتوراة، بل وجدت فرق في مختلف العصور تفنده وتنتقده.

الفصل الثاني:

أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم

وجدت عند شعوب الشرق الأدنى القديم عدة أساطير عن الخلق، كغيرها من شعوب العالم. ولئن تشابهت في مواضع معينة فقد اختلفت في مواضع أخرى، وهذا ما سنتبينه في هذا الفصل، حيث سنحاول ذكر أهم هذه الأساطير، وقد خصصنا مبحثا لكل منطقة من مناطق الشرق الأدنى، وهي المناطق التي كانت مسرحا لتحركات الشعب اليهودي و تحركات أباءه القدامى، كما وجد من أساطير هذه المناطق ما يمكننا من دراستها ، وبالتالي إمكانية عقد المقارنة مع الديانة اليهودية بعد ذلك. والمناطق المعنية بالدراسة، كما ذكرنا سابقا، هي: بلاد الرافدين، مصر، كنعان، و فارس.

المبحث الأول: في بلاد الرافـــديـــن

تعد بلاد الرافدين من أولى المراكز الحضارية في العالم، وهي تقع حاليا في العراق وسوريا ما بين نهري دجلة والفرات، ومن أقدم من استوطن هذه البلاد السومريون ، وذلك حوالي 4500ق.م. أما موطنهم الأصلي فلا يزال مجهولا[1]، والسومريون هم أصحاب الخط المسماري الذي أصبح وسيلة الكتابة لدى جميع شعوب المنطقة، ويرى بعض المؤرخين أن السومريون هم من وضع وا أول الملاحم الشعرية، وأول التراتيل الدينية والقصائد الدنيوية، وأول التشريعات والقوانين والتنظيمات المدنية والسياسية[2]. ولكن علينا أن نعلم أن مثل هذه الاستنتاجات هي حسب ما عثر عليه من آثار، وعلى هذا لا يجب أخذها على أنها حقائق مطلقة أو ثابتة غير قابلة للتغير.

وقد أقام مع السومريين الأكاديون الساميون ردحا طويلا، وما لبثوا أن استوعبوهم، وبسطوا سلطانهم السياسي و الثقافي على بلاد الرافدين، وذلك ابتداء من 2330ق.م، وقد أسسوا امبراطورية بلغت أوجها في عهد الملك "حمورابي"، ولم يكن تعاقب الشعوب السامية الأخرى على الهيمنة السياسية في بلاد الرافدين، كالكلدانيين والآشوريين إلا تنويعا في أرضية واحدة مشتركة، وعلى هذا نجد بعض

[1]- صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، تر: نهاد خياطة، ط3(دمشق: دار علاء الدين، 2000)ص15، 16

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص31، 32

الدارسين يشير إليهم ككل باسم الثقافة البابلية [1]، وهذا ما سنقوم به في هذا البحث أيضا، حيث سنقوم بدراسة الأساطير السومرية أولا، ثم الأساطير البابلية، من دون أن يعني اسم هذه الأخيرة تخصيصا أو تحديدا معينا.

و يرى الباحثون أن بيئة بلاد الرافدين قد قامت بدور كبير في تشكيل حياة سكانها بصفة عامة، وحياتهم الدينية بصفة خاصة؛ حيث كانت هذه البيئة غير مستقرة في كافة المجالات الجوية والمائية و الأرضية، ما أدى بالعراقي القديم إلى البحث في تلك الإشكالات البيئية ومحاولة التغلب عليها. وقد كان الدين العامل المسيطر في كل ركن من أركان الحياة الإنسانية في هذه البلاد [2]. و الحقيقة أن هذه الخاصية الأخيرة، أي سيطرة الدين على مختلف مظاهر الحياة، كان خاصية لكل ديانات الشرق الأدنى، ولم تنفرد بها هذه البلاد دون غيرها.

أولا- صفات الخالـــق

آمن قدماء بلاد الرافدين بتعدد الآلهة، وقد أخضعوها لتراتبية نقلوها عن تراتبية الدولة الدنيوية؛ لأنها كانت تمنحهم أفضل صورة عن آلهتهم التي تلعب تجاه العالم والبشر الدور نفسه الذي يقوم به الملك وموظفوه تجاه رعايا المملكة، لكنه تصور أكثر فخامة وقوة. وكان على رأس مجتمع الآلهة ملك أو إله أكبر، غير أن هذا التصور الهرمي لم يتحول قط إلى نزوع توحيدي، فقد اتفق أن يجلوا أحد الآلهة عن الأخرى، لكن هذه الأخيرة ظلت دوما موجودة باعتبارها آلهة هي الأخرى[3].

وقد كانوا مجسمين، حيث أسبغوا على آلهتهم مظهر البشر بفروقهم الجنسية آلهة ذكور وآلهة إناث على شكل أزواج، تلد أطفالا، وتعيش في مجتمع مثلنا وتحركها احتياجات المأكل والمشرب... ولكن يجب أن نعلم أن مفهوم الألوهية نفسه عرف تطورا، ففي الألفية الثالثة قبل الميلاد وبفعل تأثير الهيمنة

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ص51

[2]- محمد بيومي مهران، حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص165،166

[3]- ج بوطيرو وآخرون، الشرق القديم ونحن، تر:حميد جسوس، ط1(دمشق :دار المدى،2007)ص85

السومرية كانت الآلهة متعددة، كل واحد منها يفترض وجوده وراء الظواهر الطبيعية اللامتناهية التي يرام تفسيرها وكان عددها يصل إلى المئات، وقد كانت تكتسي شكلا بسيطا وبشريا إلى أقصى حد[1].

لكن مع تزايد تأثير الجزء السامي في السكان بدأت الآلهة تأخذ صفات أسياد راقين متعالين، وبدأ عددها يقل، وتركز الاهتمام في قلة لا تتجاوز الثلاثين. وعن سكنى الآلهة فقد كان أمرا مبهما، فأحيانا كان يتم رؤية كل واحد منها وراء ظاهرة طبيعية تخضع لإرادته هو فقط، وأحيانا أخرى كان يتم تجميعها كحاشية ملكية في علياء الإقامة السماوية لملك الآلهة، كما تصورت أنها تقطن بطريقة مبهمة في التماثيل والصور التي كانت تصنع لها، وبهذا الشكل كانت الآلهة حاضرة فعليا في الديار التي أعدت لها مثل القصور، أي في المعابد[2].

ومما يلاحظ أن عملية الخلق ارتبطت في كثير من أساطير الشرق الأدنى القديم بصراع الخالق مع بعض الكائنات الغريبة التي لها علاقة في أغلب الأحيان بالمياه الأزلية، والتي تمثل قوى الفوضى الهيولية، وقد شاع تسميتها بأسطورة التنين، حيث تأخذ هذه القوى الشريرة صورة تنين أو ثعبان أو حية، وإن لم ترتبط هذه الأسطورة ببداية الخلق في كل الأساطير فإننا نجدها ترتبط في أساطير أخرى بمحاولة حماية الكون والعالم من الخراب أو من إرجاعه إلى حالته السكونية الأولى .

و يرى بعض الدارسين[3] أن التجربة التاريخية لسكان الرافدين لا تشبه تجربة مصر المعزولة، فقد كانت تجربة الرافدين عاصفة ومليئة بالتغيير والغزوات الأجنبية والصراع الداخلي، إضافة إلى فيضانات نهريه العظيمين ، مما جعل أنموذج أسطورتهم يجد له مخرجا في الصراع الكوني، وكذلك للتنظيم الإلهي للكون.

---

[1]- محمد فهد القيسي، قصة الخليقة بين الألواح المسمارية والكتب السماوية، ط1(دمشق: دار تموز، 2011)ص30
و أيضا ج بوطيرو وآخرون،الشرق القديم ونحن،ص86

[2]- ج بوطيرو وآخرون،الشرق القديم ونحن،ص87

[3]- آرثر كورتل ،قاموس أساطير العالم،ط1 (دمشق:دارنينوى،2001)ص16

وعلى العموم، نجد أن الفكرة السائدة بالنسبة إلى أسطورة التنين في بلاد الرافدين، هي أن التنين رمز للشر، وأنه يرتبط بالبحر والمياه والعالم السفلي. ويوجد في تراث بلاد الرافدين أكثر من قصة عن ذبح التنين، ارتبط بعضها بشكل مباشر بالخلق، ومازالت علاقة بعضها الآخر بالخلق غامضة[1].

ومن الأساطير السومرية التي تعالج هذا الموضوع أسطورة بطلها الإلهة "إنانا"، والتنين الذي سمي فيها ب"كور"، ويرى "صمويل نوح كريمر" Samuel Noah Kramer [*] أن كلمة "كور" تدل على الفراغ الكائن مابين سطح الأرض والبحر الأول الأسفل العنيف، كما تدل على التنين الذي يحتجز ويسيطر على مياه البحر الأول، و التي تقابل "تهوم" في التوراة[2]، كما تتشابه أيضا مع الإلهة "تيامت" البابلية التي سنذكرها لاحقا.

وفي هذه الأسطورة تتصدى إنانا لكور وتتغلب عليه حيث تنال لقب "قاهرة كور" كما كان لكور أسطورة أخرى بطلها الإله "إنكي"[3].

ومن الأساطير السومرية أيضا صراع الإله "ننورتا" بن "إنليل" مع "أساج" إله العلل والأمراض والساعد الأيمن لكور، حيث يقوم ننورتا بقهره والتغلب عليه، و السيطرة على مياه البحر البدئي، للحيلولة دون اجتياحها بلاد سومر[4].

ومن الأساطير البابلية في هذا المجال، أسطورة تتحدث عن وحش جبار يدعى "اللابو" وهو تنين ذو صفات أسدية و أفعوانية معا، وقد خرج هذا الوحش من الأعماق المائية إلى ديار الحضارة محاولا تدمير كل ما بناه الإنسان، إلى أن ينجح أحد الآلهة في القضاء عليه[1].

---

[1] - كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص62،63

[*] - صموئيل نوح كريمر (1897-1990) ينحدر من أسرة يهودية أوكرانية، ويعتبر من أشهر العلماء في المسماريات، والسومريات بالخصوص، وقد تتلمذ على يديه بعض من أصبحوا بعد ذلك أبرز العرب في هذا المجال. استفدنا في ترجمته من الموقع الآتي:
http://www.almadasupplements.com/news.php?action=view&id=3802 بتاريخ 2013/02/04

[2] - صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، ص282

[3] - خزعل الماجدي، متون سومر، ط1(عمان: دار الأهلية، 1998)ص194،224

[4] - قاسم الشواف، ديوان الأساطير الحضارة والسلطة، تق: أدونيس، ط1(بيروت: دار الساقي، 1999)ص229

ومما وصف به هذا الوحش في نص الأسطورة مايلي[2]:

«كان طوله خمسين ساعة مضاعفة وارتفاعه ساعة مضاعفة

وكان اتساع فمه ستة أذرع و(....) اثنتي عشرة ذراعا

وتسعة أذرع في العمق يستطيع الانسلال في الماء»

ومن الأساطير أيضا ما يروى عن الطائر العملاق "زو" من قوى العالم الأسفل المدمرة، والذي يبدو في هيئة هي مزيج من الإنسان والطائر. وقد ورد اسمه في كثير من النصوص الطقوسية وهو في صراع مع بعض كبار الآلهة، حيث يحطم هذا الإله رأس "زو"[3].

ولعل أشهر قصة للصراع الأزلي بين الخالق والتنين هو الصراع بين الإله "مردوخ" و"تيامات" في أسطورة الخلق البابلية"الإينوماإليش"، حيث يرتبط هذا الصراع بشكل مباشر بالخلق، كما سنذكر ذلك في الأساطير البابلية.

ثانيا- عمليـة الخـلـــق

بعد أن تطرقنا إلى صفات الخالق و تصور الرافديني القديم لعالم الألوهية، وأيضا تطرقنا إلى أسطورة التنين التي تبرز من خلالها بعض صفات الخالق ، سنتطرق الآن إلى عملية الخلق نفسها، وذلك من خلال الأساطير السومرية أولا؛ نظرا لأسبقيتها التاريخية، ثم الأساطير البابلية بعد ذلك.

1-الأساطيـر السومريـة

لم يعثر إلى الآن على أسطورة للخلق سومرية خاصة، مثل أسطورة الخلق البابلية، ولكن هذا لا يعني عدم وجود تصورات أسطورية حول هذا الموضوع، فهناك العديد من مقدمات بعض القصص

---

[1]- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي، تر: سعيد الغانمي، ط1(كولونيا- بغداد: منشورات الجمل، 2007)ص195

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص226

[3]- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص200 و فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص227

والأغاني والأناشيد والتراتيل التي تكاد تعطينا تصورا واضحا للسومريين بهذا الشأن ومنها قصة "جلجامش و أنكيدو" ومقدمة أسطورة "الماشية والحنطة" وأسطورة "خلق الفأس" وبعض التراتيل والإشارات هنا وهناك[1].

ويرى بعض الدارسين أن أفكار السومريين عن الخلق والتكوين لم تكن أفكارا بدائية بل أفكار ا ناضجة بالدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان. فلقد أثبت السومريون مقدرة فائقة على الملاحظة الذكية والربط واستخلاص النتائج المنطقية من المقدمات المنطقية والحقائق والوقائع المشاهدة[2]. كما أن التصور الميثولوجي السومري للكون كان هو المصدر الأول لكل التصورات الكوزموغونية التي تلته، بل إن التصورات العلمية الأولى التي بدأت في بابل واليونان حول الفلك والكون كانت لا تبتعد إلا ببعض التفاصيل عن الأنموذج السومري للكوزمولوجيا [3]. وهذا يعطي أهمية كبرى للأساطير السومرية، ليس فقط في مجال علم الأساطير، بل في تاريخ علم الكون كذلك.

ومن خلال دراسة النصوص الأسطورية المتفرقة، نجد التسلسل الآتي لعملية خلق العالم[4]:

-في البدء كانت الإلهة "نمو" ولا أحد معها . وهي المياه الأولى التي انبثق منها كل شيء.

- أنجبت الإلهة "نمو" ولدا وبنتا ، الأول" آن" إله السماء المذكر، والثانية "كي" إلهة الأرض المؤنثة، وكانا ملتصقين مع بعضهما، وغير منفصلين عن أمهما "نمو".

- ثم إن "آن" تزوج "كي"فأنجبا بكرهما "إنليل" إله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة.

---

[1]- خزعل الماجدي،متون سومر،ص 66. و يمكن الإطلاع على نصوص الأسطورتين الأخيرتين عند: قاسم الشواف، ديوان الأساطير الآلهة والبشر،تق: أدونيس،ط1 (بيروت:دار الساقي، 1997)ص96-102

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص32

[3]- خزعل الماجدي،متون سومر،ص79

[4]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص32،33

- "إنليل" الإله الشاب النشيط، لم يطق ذلك السجن، فقام بقوته الخارقة بإبعاد أبيه آن عن أمه كي. رفع الأول فصار سماء، وبسط الثاني فصارت أرضا، ومضى يرتع بينهما.

- ولكن إنليل كان يعيش في ظلام دامس ، فأنجب ابنه "نانا" إله القمر، فيبدد الظلام في السماء وينير الأرض.

- "نانا" إله القمر أنجب بعد ذلك "أوتو" إله الشمس الذي بزه في الضياء .

- بعد أن أبعدت السماء عن الأرض، وصدر ضوء القمر الخافت، وضوء الشمس الدافئ، قام إنليل مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى.

ورغم أن الظاهر من هذه النقاط أن الخلق كان نتيجة للفاعلية الجنسية للآلهة، إلا أن هناك من يرى أن السومريين وضعوا مبدأ صار عقيدة في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم، وهو مبدأ القوة الخالقة للكلمة الإلهية، فبموجب هذا المبدأ لم يكن على الإله الخالق إلا أن يضع الخطط وينطق بالكلمة ويعلن الاسم (أي اسم الشيء المراد خلقه) [1]. وعموما لم يكن الخلق مهمة تولاها إله واحد في سومر ، حيث نجد الإله "إنكي" يتابع ما بدأه "إنليل" ويضع اللمسات الأخيرة على صورة الكون، فتخرج حية نضرة ، وبعد الانتهاء من عناء الخلق، يخلد "إنكي" للراحة والسكينة ويشرع في بناء بيت له في الأعماق[2].

أما عن خلق الإنسان فقد تنوعت الأساطير التي تشير إلى هذا الموضوع، ولكن أشهرها على الإطلاق هي أسطورة "إنكي وننخرساك" التي يفهم منها أن الآلهة أصابها الجوع بعد أن تكاثرت وزاد عددها وأن الإلهة نمو(أم كل الآلهة) جاءت إلى ابنها إنكي إله المياه وطلبت منه أن يخلق عبدا للآلهة ينتج لها طعامها وكان جواب إنكي أن الأمر ممكن وأن عليها أن تأخذ شيئا من الطين الذي وسط المياه وتخلق منه الإنسان. لقد خاطبت الإلهة نمو الإله إنكي قائلة:

« يا بني انهض من سريرك...افعل ما هو حكيم

---

[1] - سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ص238

[2] - كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص51

اجعل خدما للآلهة عسى أن ينجب هؤلاء أضعاف أعدادهم»

فيستجيب إنكي لنداء أمه ويرد عليها:

« يا أمي إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود

فأسبغي عليه صور الآلهة

امزجي لب الطين الذي فوق اللجة

وسيكثف صانعوا الأشكال الخيرون الذين فيهم

صفة الأمارة الطين، أما أنت فاخلقي الأطراف وستعينك ننماخ (ننخرساك)

ستقف آلهة الولادة إلى جانبك عندما تخلقين

يا أمي قدري قدره

أما (ننماخ) فستطبق عليه قالب الآلهة

إنه الإنسان»[1]

وعلى العموم ، فإن هذه الأسطورة ترى أن الإنسان الأول كان مريضا مشوبا بالعاهات التي لولا الإله إنكي لما استطاع هذا الإنسان أن يشق طريقه في الحياة. كما تبين أن خلق الإنسان شارك فيه أكثر من إله ، وهم الإلهة نمو والإله إنكي والإلهة ننخرساك وآلهات الولادة، وهذه إشارة مفيدة لأن الإنسان يعتبر في هذه الأسطورة إبنا للإله أو الإلهة ولكنه ابن عاجز ضعيف محكوم عليه بالموت، كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامرهم وليس العيش معهم ومشاركته لصفاتهم[2].

[1] – محمد فهد القيسي، قصة الخليقة بين الألواح المسمارية والكتب السماوية،ص132،133

[2] – خزعل الماجدي،متون سومر،ص167

ويذهب "خزعل الماجدي"* إلى أن هناك خمس أنواع من الأساطير السومرية توضح خلق الإنسان، وكل منها يرجع الإنسان إلى أصل مختلف في خلقه وتكوينه، وهذه الأصول هي[1]:

أ. الأنثربوغونيا الطينية المائية

وهي الأشهر، وقد ذكرت سابقا.

ب. الأنثربوغونيا النباتية

في هذه الأسطورة يقوم الإله إنليل بوضع بدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش، ويرجع تاريخ هذه الأسطورة إلى 5000ق.م ، حيث كان العراقي القديم يمارس نوعا من الزراعة تعتمد على الأمطار، و كان ظهور النباتات كالحشائش منظره الدائم.

ج. الأنثربوغونيا الحيوانية

يبدو في هذه الأسطورة، التي غالبا ما تسمى أسطورة "أشنان"،أن الإنسان خلق على تل الكون المقدس (آن كي)أي قبل أن تنفصل السماء عن الأرض و قبل ظهور الآلهة الصغرى، وأنه قد ظهر مثل الكون من الهيولى الأولى المائية ، ولكنه ظهر كحيوان يمشي على يديه و رجليه، يأكل الحشيش ويشرب الماء من القنوات، وقد نزل الآلهة بالماشية والغلة والإنسان إلى الأرض لكي يعمل الإنسان على الإستفادة منها ويفيد معه الآلهة التي تريد من يخدمها.

د. الأنثربوغونيا الإلهية

*- خزعل الماجدي: عراقي ولد عام 1951، حائز على دكتوراه في التاريخ القديم، له العديد من الأبحاث في الميثولوجيا و الأديان القديمة.
استفدنا في ترجمته من الموقع الآتي: http://www.alnoor.se/author.asp?id=391
بتاريخ 2013/02/04

[1] - خزعل الماجدي،متون سومر،ص164-172

تعد هذه الأسطورة من أكثر الأساطير التي شاعت في تراث العالم القديم فهي تنفرد بقدم فكرتها التي تؤكد أن الإنسان مخلوق من دم الآلهة (لمكا) وهي آلهة العمل، وسنجد صداها في أساطير بابلية مماثلة.

هـ. الأنثربوغونيا اللوغوسية

كانت الكلمة مصدر خلق عند السومريين وكان إطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق نفسه وإظهار الشيء المسمى إلى الوجود. وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض، وخلق الإنسان بعد أن تعين اسمه. وقد خلق الإنسان في هذه الأسطورة من مني الآلهة.

و على العموم تكاد معظم النصوص السومرية، والأمر نفسه ينطبق على البابلية كما سنرى، التي روت لنا خلق البشر بصرف النظر عن الإله أو الآلهة التي قامت بهذا العمل، تتفق على أن الأسباب التي من أجلها خلق البشر كانت لمصلحة الآلهة، و من ذلك تأمين معيشتهم بضمان استمرار الطقوس في المعابد بواسطة التقديمات والقرابين التي كان على البشر تخصيصها لها.

2- الأساطير البابلية

اتسمت الأساطير البابلية بوضوح أكثر مقارنة بنظيراتها السومرية. وتتبدى أفكار البابليين في الخلق والتكوين، بشكلها الأكمل والأخص، في أسطورة الخلق المعروفة باسم "الإينوماإيليش"، هذا بالإضافة إلى عدد من النصوص الأخرى.

وتعتبر الإينوماإيليش من أقدم ا لأساطير في العالم القديم، فتاريخ كتابتها يعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. و قد لقيت كثيرا من الاهتمام والدراسة من قبل علماء المسماريات والأنثروبولوجيا والميثولوجيا، فإلى جانب شكلها الشعري الجميل، والذي يعطينا أنموذجا لأدب إنساني متقدم، فإنها تقدم لنا وثيقة هامة عن معتقدات البابليين، ونشأة آلهتهم ووظائفها وعلاقاتها[1] .

[1] – فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص51، 52

وقد أرجعها الباحث "ألكسندر هايدل" Alexander Hiedel إلى فترة السلالة البابلية الأولى(1894-1595ق.م)[1] كما يرى أنها وإن كانت أحد روائع الساميين البابليين فإنها تقوم دون شك على الكونيات السومرية[2] .

وقد وجدت هذه الأسطورة موزعة على سبعة ألواح طينية، أثناء الحفريات التي كشفت عن قصر الملك "آشور بانيبال "(668-630 ق.م) و مكتبته التي احتوت على مئات الألواح في شتى الموضوعات الأدبية والدينية والقانونية وما إليها، وذلك خلال الأعوام 1848و1867 واستمر الكشف عن ألواح الأسطورة تباعا إلى سنة 1929 حيث استعيدت كامل أجزاء ها تقريبا، وإن لم يزل قسم كبير من اللوح الخامس مفقودا[3] .

سميت "الإينوماإليش" أو "عندما في الأعالي" بهذا الاسم نسبة للكلمات الأولى منها، وقد كانت تتلى في بابل احتفالا بالسنة الجديدة وذلك في نهاية اليوم الرابع، فيلقيها بتمامها أكبر الكهنة أمام تمثال الإله "مردوخ"[4]، وقد استخدمت هذه الأسطورة عند الآشوريين مع استبدال "مردوخ" بالإله "آشور"[5].

والأسطورة تبدأ كالآتي[6]:

«عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء،

وفي الأسفل لم يكن هناك أرض.

لم يكن من الآلهة سوى أبسو أبوهم،

1- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص29، 30

2-المرجع نفسه، ص27

3- المرجع نفسه، ص13، 14

4- مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر:زينة عازار و ميشال أبي فاضل،ط2(بيروت-باريس: منشورات عويدات،1984)ص125

5- رينيه لابات وآخرون ،سلسلة الأساطير السورية،ط1(دمشق:دار علاء الدين،2000)ص39

6- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص56

وممو، وتعامة التي حملت بهم جميعا.

يمزجون أمواههم معا.

قبل أن تظهر المراعي وتتشكل سبخات القصب

قبل أن يظهر للوجود الآلهة السابقون...»

نلاحظ في هذا النص أسبقية الماء، حيث تبدأ الملحمة بإشارة وجيزة إلى الزمن الذي لم فيه شيء سوى الإلهين أبسو و تعامة (أو تيامت) وابنهما ممو، وأبسو هو الماء العذب ، وتعامة زوجته الماء المالح[1]. أما ممو فيعتقد البعض بأنه الأمواج المتلاطمة الناشئة عن المياه الأولى، ويرى "فراس السواح" [2] بأنه الضباب المنتشر فوق تلك المياه والناشئ عنها.

هذه الكتلة المائية الأولى كانت تملأ الكون وهي العماء الأول الذي انبثقت منه فيما بعد بقية الآلهة والموجودات، وكانت آلهتها الثلاثة تعيش في حالة سرمدية من السكون والصمت المطلق، ممتزجة ببعضها البعض في حالة هيولية ، لا تمايز فيها ولا تشكل ، ثم أخذت الآلهة بالتناسل فولد لآبسو وتعامة إلهان جديدان هما "لخمو" و"لخامو" وهذان بدورهما أنجبا "أنشار" و"كيشار" الذين فاقا أبويهما قوة ومنعة. وبعد سنوات مديدة ولد لأنشار وكيشار ابن أسمياه "آنو" وهو الذي صار فيما بعد إلها للسماء. وآنو بدوره أنجب "إنكي" و "إيا"، وهو إله الحكمة والفطنة والذي غدا فيما بعد إله المياه العذبة الباطنية. ولقد بلغ إيا حدا من القوة والهيبة، جعله يسود على آبائه[3].

أزعجت هذه الآلهة أبسو وتعامة بضجيجها، فكان أن عزم أبسو على التخلص منهم. ولكن إيا ينجح في ذبح أبسو بالاستعانة بتميمة سحرية، وفوق جسده يقيم إيا مسكنا رحبا، وجعله حرما

---

[1]- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص17

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص52 ويلاحظ أن الباحث "كارم محمود عزيز" نقل عن "فراس السواح" عكس ما ذكره. كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص55

[3]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص52

مقدسا، وهو المكان الذي ولد له فيه مردوخ(أو مردوك) أحكم الآلهة ، والذي قدر له أن يخلصهم من ألد أعدائهم، ويصبح رأس المجمع الإلهي البابلي الفسيح[1].

وقد قررت تعامة بتحريض من الآلهة القديمة، حرب أولئك المتمردين على التقاليد الكونية، وشرعت في تجهيز جيش عرم قوامه أحد عشر نوعا من الكائنات الغريبة: أفاع وزواحف وتنانين هائلة وحشرات عملاقة، وجعلت عليها الإله "كنجو" قائدا بعد أن اختارته زوجا لها، وعلقت على صدره ألواح الأقدار[2].

و لم يكن لدى أي من الآلهة الشجاعة ليقف في وجه تعامة حتى ظهر مردوخ في مجلس الآلهة، وأبدى استعداده لمحاربتها، شريطة أن يعده الآلهة بأن يجعلوا منه رئيسا لهم، ووافق مجلس الآلهة. وأثناء القتال قهر مردوخ تعامة، حيث تصيدها بشبكته، وجعل الرياح تدخل فمها المفتوح، ثم أطلق سهما نحو أجزائها الداخلية وشطر جسدها نصفين. وبعد ذلك أقام بنصف تعامة الأعلى غطاء فصار سماء، بينما نشر النصف الآخر تحت قدميه ليشكل به الأرض[3].

وجاء وصف الأسطورة لهذه العملية كالآتي[4]:

« ثم اتكأ الرب يتفحص جثتها المسجاة

ليصنع من جسدها أشياء رائعة:

شقها نصفين فانفتحت كما الصدفة

رفع نصفها الأول وشكل منه السماء سقفا

وضع تحته العوارض وأقام الحرس

1- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص18، 19

2- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص53 وأيضا مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،ص95

3- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص57، 58

4- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص75

أمرهم بحراسة مائه فلا يتسرب »

وفي ترجمة أخرى نجد[1]:

« شطر جسدها شطرين

أعلاهما ثبته في السماء، منه خلق السماء

والأسفل ثبته في الأرض، منه خلق الأرض »

و بعد هذا الانتصار المؤزر على قوى السكون والفوضى، التفت مردوخ إلى بناء الكون وتنظيمه، فخلق النجوم محطات للآلهة، وصنع الشمس والقمر وحدد لهما مساريهما، ثم خلق الإنسان من دم الإله "كنجو"، كما خلق الحيوان والنبات ونظم الآلهة في فريقين. وبعد الانتهاء من عملية الخلق، اجتمع مردوخ بجميع الآلهة واحتفلوا بتتويجه سيدا للكون، بنوا مدينة بابل، ورفعوا له في وسطها معبدا تناطح ذروته السحاب، وفي الاحتفال المهيب أعلنوا أسماء مردوخ الخمسين [2]. وقد فسر هذا الأمر على أنه نوع من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مردوخ[3].

إضافة إلى الإينوماإليش قدمت لنا الأساطير البابلية نصوصا أخرى حول الخلق والتكوين، إلا أن معظم هذه النصوص ناقص، وذلك بسبب الحالة التي وصلتنا عليها الألواح الفخارية التي احتوت عليها ، علاوة على أنها لا ترقى من الناحية الجمالية إلى الإينوماإليش[4].

ومن هذه الأساطير تلك التي تصف تكوين الأرض، حيث يربط الإله – حسبها- عدة قصبات بعضها إلى بعض ، ويبسط الأرض فوقها، بشكل يشبه تكوين القرى في المستنقعات الجنوبية لبلاد الرافدين[1].

---

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص58

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص54، 55

[3]- خزعل الماجدي، إنجيل بابل،ط1(عمان:دار الأهلية،1998)ص37

[4]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص98

أما عن خلق الإنسان، فتشير الإينوماإيليش إلى أن الآلهة الأسرى جعلوا خدما للمنتصرين، ونتيجة لاعياءهم طلبوا من "مردوخ" إعفاءهم من ذلك، وبعد أن يستشير أباه "إيا" يقرر قتل الإله "كنجو"، زعيم الثائرين، لكي يخلق البشر من دمه و الذين سيقومون بالعبء الذي كان يقوم جيش الآلهة المهزومين، كما يقومون بإطعام زمرة الآلهة[2]. وقد جاء في نص الأسطورة[3]:

«سأخلق دما، وأوجد عظاما

ثم أنشئ ال"للو" ، وسيكون اسمه (الإنسان)

...

إن كنجو هو من خلق النزاع

أوثقوه، وجاءوا به أمام إيا

وأنزلوا به العقاب بقطع (عروق) دمه

وبدمه خلقوا البشر،

فرض عليهم خدمة الآلهة، وأطلق الآلهة أحرارا»

وفي أسطورة الطوفان البابلية "أتراخاسيس" ترد أفكار خلق الإنسان مقاربة إلى حد كبير لما جاء في الإينومالإيليش، وأبرز أفكار هذه الأسطورة مايلي[4]:

- الجمع بين فكرتي خلق الإنسان من الطين وخلقه من دم أحد الآلهة .

---

[1] - جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام،د.ط(الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1993)ص18

[2] - ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص23، 24

[3] -المرجع نفسه، ص72-74

[4] - محمد فهد القيسي، قصة الخليقة بين الألواح المسمارية والكتب السماوية،ص139-141

-اشتراك عدد من الآلهة في عملية خلق الإنسان من خلال مشورة الإله "إيا" والإلهة "ننتو" وإلهات الولادة الأربعة عشر.

-الإشارة إلى خلق الإنسان بجنسيه الذكر والأنثى.

- حلول جزء إلهي في الإنسان من خلال بصق الآلهة في طينته.

كما أن هناك نصا آخر يقدم لنا أسطورة أخرى عن الزوجين الأولين (أوليجار وإلجار). وقد وجد النص محفورا على لوح يعود للقرن الثامن قبل الميلاد، عثر عليه في خرائب مدينة "آشور". و وفق هذا النص، فإن دماء الآلهة تستعمل في خلق الإنسان من دون طين ، وهذه الآلهة هي آلهة الحرف "اللامجا" ومهمة الإنسان المخلوق هي حرث الحقول وريها وبناء المعابد والمحاريث لهم. وقد قامت الآلهة بمباركة هذا الزوج بالزيادات السخية والوفرة[1].

وهناك أسطورة خلق مهشمة، كانت تستعمل مقدمة لرقية تتلى عند الولادة، ولم تحفظ منها سوى الفقرة التي تعالج خلق الإنسان. وفي هذه الرواية أن الآلهة تحولت إلى الإلهة "مامي" طالبين منها خلق الإنسان ليحمل نير الآلهة[2]:

«أنت الرحم الأول الأزلي، أنت خالقة البشرية،

اخلقي إذن لوللو

ليحمل النير...

ففتحت ننتو فاها

وخاطبت الآلهة العظام «إلي يرجع صنع كل شيء لائق»

...فليكن لوللو!

---

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص102-104

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص61

...ليكن من الطين لتدب فيه الحياة بالدم»

كخلاصة لأفكار سكان الرافدين القدامى حول الخلق، يظهر أن الحياة انبثقت من المياه، و وجد العالم نتيجة لاقتران الآلهة وتناسلها، أو كنتيجة ل لصراع بين الأجيال السابقة والأجيال اللاحقة من الآلهة، ولكنه كان عن طريق الكلمة الآمرة حسب أساطير أخرى ، وهو يعبر رقي فكري ملحوظ. أما عن خلق الإنسان ، فيبرز التركيز في معظم الأساطير على أن الطين كان أحد أهم مواد خلق الإنسان، كما أن الإنسان يحمل في ذاته عناصر إلهية، حيث خلق من دم الآلهة كما في كثير من الأساطير أو من بصاقها أو حتى منيها حسب أساطير أخرى، كما أنه حسب بعض الأساطير يخلق على صورة الآلهة، و رغم هذا فإن مصيره النهائي هو الموت، فالخلود من نصيب الآلهة فقط. أما عن هدف خلق الإنسان فكان لخدمة الآلهة وتخفيف عبء العمل عنها.

المبحث الثاني : فـي مــصـــــــر

يقسم المؤرخون المحدثون تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: عصر الدولة القديمة(2980-2475ق.م) وفي هذا العصر تبلورت مبادئ الحكم المركزية والإدارة، و هو بداية عصر بناة الأهرامات، ثم عصر الدولة الوسطى(2160-1580ق.م) وفي هذا العصر ساد الأمن والرخاء وازدهرت الزراعة وتطورت المصنوعات اليدوية و العمران، ثم عصر الدولة الحديثة(1580-1150ق.م) وقد شهد عصر هذه الدولة مجد مصر الحربي؛ حيث امتدت حدودها من نهر الفرات شرقا إلى الشلال الرابع على نهر النيل جنوبا[1]، وابتداء من القرن الحادي عشر قبل الميلاد بدأت أوضاع مصر في التدهور، وقد انتهى حكم الفراعنة بدخول الإسكندر المقدوني لمصر سنة332ق.م[2].

وعن واقع الدين في هذه البلاد، فقد عرف المصريون القدماء بشدة تدينهم حيث كان الدين حاضرا بقوة في أعمالهم الخاصة والعامة [3]. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن مظاهر الطبيعة كانت أول ما أشعر المصري بوجود الآلهة، كما أن مظاهر الإلوهية الأولى في نظره هي القوى المسيطرة على العالم المادي[4]. وقد أدى موقع مصر الجغرافي المحصن إلى أن يحيا أهلها حياة هادئة، وربما لهذا بقيت ديانتهم خلوا من الطقوس المخيفة ولم توجد فيها آلهة ظمأى للدماء، ولا طقوس تسرف في السرور أو الشراهة [5]، وذلك مثلما يبرز في الديانة الكنعانية مثلا.

والديانة المصرية هي نتاج العديد من التيارات اللاهوتية والسياسية المختلفة، حيث لم تكن ثمة سلطة مفردة ومسيطرة بشكل كاف طوال التاريخ المصري القديم لكي تختصر كل المعتقدات المحلية

---

[1]- سامي المغلوث، أطلس الأديان، ط1(الرياض : مكتبة العبيكان،2007)ص581

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ط1(عمان:دار الشروق،1999)ص36، 37

[3]- محمد أبوزهرة، الديانات القديمة، د.ط(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)ص5

[4]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير،تر: سليم حسن،د.ط(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)ص37

[5]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ط1 (الإسكندرية:دار المعرفة،2008)ص76

وتوحدها في إطار لاهوتي شامل، إضافة إلى "التسامح الديني" الذي طبقته السلطات المصرية مع المخالفين[1] ، وسنحاول في هذا المبحث دراسة أهم وأشهر هذه المعتقدات.

أولا- صفات الخالــق

لم تكن صفات الإله المصري القديم تتسم بالإطلاق، فقد كان كائنا يولد ويعاني، كما أن له عواطف وغرائز، ويموت مثل الإنسان ، غير أن هذا الموت كان دوريا ولم يكن أبديا. ووجدت فكرة لاهوتية أن هناك جوهرا واحدا لكل من الآلهة والكون والإنسان، وأن الفرق بين هذه الممالك الثلاث لا يعدو أن يكون اختلافا في الدرجة لا في النوع، وقد كان الملك هو الابن الجسدي الذي جاء من صلب إله الشمس (رع)، وعندما يموت يعود إلى جسم والده. وقد اتسم اللاهوت المصري بالتذبذب بين أشكال عديدة من التوحيد والتثنية والتثليث والثامون والتاسوع، والتفريد والتعدد، وفي حالة التفريد كان يعلو شأن إله على حساب الآلهة الأخرى، ويتضح هذا في آلهة الشمس، ومن صفات التفريد أن إلهه إله قومي يرعى أناسا معينين و يعترف هؤلاء بأن لأقوام غيرهم آلهتهم الخاصة[2]، والملاحظ أن عقيدة التفريد لم تختص بها الديانة المصرية، بل نجدها في العديد من عقائد الشرق الأدنى القديم.

وقد صور المصري القديم آلهته في بعض الحيوانات مثل التمساح والثعبان و ابن آوى، كما اختار بعض الحيوانات النافعة مثل الثور والبقرة، ورأى أنها تحتوي شيئا إلهيا في نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانا ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإله من صفات، ولكن من المعروف أن الإله لا يكون مجسدا في كل بقرة أو تمساح . ونتيجة للاعتقاد بأن للآلهة من المشاعر ما يحاكي مشاعر البشر المختلفة فقد مثلوا بعض آلهتهم بأجسام آدمية ورؤوس حيوانية، أو برأس أضيفت إليه علامة مميزة لذلك المعبود[3].

---

[1]- ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري،ط1(القاهرة: دار الشروق،1996)ص45-47

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري، ص167-171

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص77

ونجد أن الميثولوجيا المصرية تتفق في عمومها أن الخالق ظهر من الهيولى المائية السرمدية الأولى التي يكتنفها الظلام، ولكنها تختلف في كيفية ظهور هذا الإله ، فبينما ترى مدرسة **"الأشمونيين"** أن الإله الشمسي "شبشي" ظهر من الثامون الإلهي، ترى مدرسة **"أون"** أن الإله الشمسي أيضا "رع" ظهر من المياه الهيولية "نون" بصورة "أتوم" ، لكن مدرسة **"منف"** رأت أن الإله "بتاح" كان روحا للكيان المائي العظيم وأنه كان التل الأزلي نفسه، ولم يكن إلها شمسيا بل إلها لوغوسيا امتلك القدرة على الخلق من خلال الفكرة والكلمة، أما مدرسة **"طيبة"** فرأت أن الإله الخالق هو "آمون" الذي جعل كزوج رابع في الثامون الهيولي وأنه من حرك الخلق، وهو خفي لا شكل ولا أب ولا أم له وهو الإله الهوائي الذي ظهر منه الوجود كله[1]. وسنقوم بالتطرق إلى هذه المدارس بالتفصيل في عملية الخلق.

ومن أبرز المدارس في مصر مدرسة **"تل العمارنة"*** التي نحت منحى توحيديا عظيما، حيث رأت أن الإله الخالق الواحد الأحد **"آتون"** الذي يمثل قرص الشمس لا إله قبله ولا إله بعده [2]. ومن أبرز سمات هذه الديانة مايلي[3]:

- الوحدانية وإبطال عبادة جميع الأرباب فليس هناك غير رب واحد هو آتون، فقد أعلن أخناتون (ت1350) في شجاعة أن الآلهة السابقة وجميع ما في الدين من طقوس إنما هي أمور وثنية.

- التجريد، وذلك بنبذ فكرة تجسيد الإله في تمثال أو رسم أو صورة، فلم يتخذ آتون صورة إنسانية أو حيوانية كغيره من آلهة مصر القديمة.

---

[1]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص71

*- أو تل بني عمران، ويقع على ضفة نهر النيل اليمنى على مسافة 300كم جنوبي القاهرة، وهو موقع العاصمة التي أسسها "أخناتون" (أمنحوتب الرابع) مقرا لعبادة الإله الواحد "آتون". انظر سيتن لويد، فن الشرق الأدنى القديم، تر: محمد درويش، د.ط(بغداد: دار المأمون،1988)ص26

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص71

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص130، 138.

و إيريك هورنونج، أخناتون وديانة النور، تر:محمود ماهر طه، ط1(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)ص10، 11

- العالمية، فآتون هو الخالق لكل أجناس البشر، وهو إله رحيم غمر بنعمته سائر المخلوقات في كل مكان من العالم، ولم يقصر ذلك على المصريين وحدهم دون غيرهم.

- إخراج الدين إلى العلانية ، حيث حاول أخناتون أن يقضي على ما كان للآلهة القديمة من ابتعاد عن الناس بما تحمله من أسرار، ومن هنا فقد كان هيكل آتون مفتوحا في الهواء الطلق، لا يحوي أية تماثيل.

ومن أناشيد أخناتون لآتون التي تعتبر المصدر الأساس في دراسة هذه الدعوة ، النشيد الآتي[1]:«ما أكثر أعمالك ، إنها على الناس خفية، أنت الإله الواحد الأحد، الذي ليس معه سواه وليس له من نظير، برأت الدنيا حسب رغبتك، وكنت فردا، خلقت البشر والأنعام، وكل ما يسعى على الأرض بقدم، ويحلق في الفضاء بجناح، خلقت بلاد خارو(سوريا وفلسطين) كوش(النوبة) وأرض مصر، ووجهت كل فرد إلى موطنه، ودبرت للجميع شؤونهم...»

أما عن صراع الخالق لقوى الفوضى في الميثولوجيا المصرية، فأشهر أسطورة في هذا المضمار هي أسطورة "فشل التنين ورواية الخلق"وقد استخدم نصها في التلاوة الطقسية والسحرية[2].

وقد جاء فيها[3]: «قال إله الجميع بعد أن أتى إلى الوجود:.. حينما جئت إلى الوجود جاءت الخليقة نفسها إلى الوجود، وجاءت جميع المخلوقات إلى الوجود ...عديدة هي المخلوقات التي جاءت من فمي، قبل أن تأتي السماء إلى الوجود...إنه هو الذي سقط في السعير، "أبوفيس" ومعه سكين فوق رأسه. لا يستطيع أن يرى واسمه تلاشى من هذه الأرض. أمرت بأن تصب عليه لعنة، أفنيت عظامه وأبيدت روحه في تعاقب الأيام، قطعت بعنف فقراته عند رقبته بسكين فرمت بها لحمه ووخزتها في جلده...أبعدت قلبه من مكانه، ومقعده وقبره، جعلته معدوما: اسمه لايوجد ، هو لايوجد عائلته لا توجد...يسقط ويقهر...»

[1]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص134-137

[2]- جيمس بريتشارد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، تر:عبد الحميد زايد،د.ط (مصر:مطبعة هيئة الآثار ،د.ت)ص41

[3]- المصدر نفسه،ص42-44

وعلاوة على الأسطورة السابقة، وجدت أسطورة عن ثعبان أزلي، غير أنه لا يمكن الحديث عنها بدقة، ويلاحظ أن نصوص العصور المتأخرة تسرف في الإشارة إلى "الثعبان الكائن في الظلام الأزلي"، وهو ثعبان متوحش صعد من ظلام المياه الأزلية قبل أن يوجد شيء محدد. وفي أحد نصوص الأهرام يرد: «هذا مخلب أتوم على عنق الثعبان مانح الصفات ليضع حدا للاضطراب في هرموبوليس»[1].

وفي أحد الأساطير أن الإله "شو" بن " أتوم" هو من تمكن من دحر "أبوفيس"، ولم تكن لأبوفيس الأهمية الموجودة بالنسبة لقوى الشر في أساطير بلاد الرافدين، ويرجع البعض ذلك إلى أن خطر فيضان النيل لا يقارن بأخطار فيضان دجلة والفرات [2].

ثانيا- عمليـة الخـلــق

اعتبرت المياه الأزلية العنصر الرئيس في جميع أساطير الخلق المصرية، ويرجع الدارسون ذلك إلى أهمية نهر النيل وفيضانه في تكوين الحياة على أرض مصر واستمرارها. فجميع الأساطير تفترض وجود لجة من المياه الأزلية سابقة لظهور المخلوقات، وكان الظلام يسود هذه المياه، ولم يكن لها شكل محدد، ولا ملامح معينة، وكانت راكدة غير متحركة، وقد أطلق المصريون على هذه المياه الأزلية اسم "نون"[3].

و قد ظهرت فكرة المحيط البدئي منذ أقدم العصور، وعليها برز التل البدئي يحمل أول كائن حي، وهو إما الثعبان الذي كان يعتبر الجسم الأول لأي إله، أو الجعل الذي ظهر فيما بعد في العصور التاريخية. ويبدو أن تصورات تل الأرض الأزلي من الخصائص المصرية. واعتقد المصريون أن مياه الهيولى بقيت في الدنيا في صورة المحيط حول الأرض الذي ظهر أصلا حول المياه الأولى [4]. وعن

---

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص47

[2]- آرثر كورتل ،قاموس أساطير العالم،ص39

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص17

[4]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص38

التل الأزلي فقد ادعى جميع كهنة المراكز الدينية الرئيسية التي نسبت إليها نظريات الخلق أن معابدها توجد في المكان الذي ظهر فيه التل الأزلي. ويحتمل أن أول من ادعى ذلك كان كهنة مدينة "أون"(هليوبوليس أوعين شمس الحالية)[1].

وإذا كانت أساطير الخلق في مصر قد ارتكزت على المياه الأزلية التي خرجت منها الحياة، فإنها قد اختلفت في أمور أخرى. وقد برزت خمسة أساطير للخلق، ارتبطت بالمعابد الكبرى في مصر، وهي أسطورة "أون" و"خمنو" و "منف" و"طيبة" و "آبو".

1- أسطورة أون

تؤرخ هذه الأسطورة وفقا لبعض الآراء بعام 2700ق.م، وتعتبر أقدم مذاهب الخلق في مصر، وهي من أكثر الأساطير ترتيبا منهجيا، وقد توخى واضعوها أن تكون قريبة من أذهان العامة فصيغت في صورة إنسانية محسوسة[2].

تذكر هذه الأسطورة أن الخالق "أتوم" بزغ من المحيط الأزلي ، وعندما لم يجد مكانا يقف عليه خلق تلا، وهو المكان الذي بني فيه معبد "أون"، ونظرا لتوحيد أتوم مع إله الشمس "رع" في بعض النصوص، فقد أصبح بزوغه من التل الأزلي يمثل بزوغ الضياء وانبلاج الصباح الأول الذي كان يحيط بالمياه الأزلية، وقد كان العمل التالي لأتوم الذي خلق نفسه بنفسه هو أن يقوم بخلق المزيد من الآلهة، حيث كان وحيدا في هذا العالم، وقد اعتبرته الكثير من النصوص أنه يجمع بين الذكورة والأنوثة[3].

قام "أتوم" بالبصق فخلق الإله "شو" وتقيأ فكانت الإلهة "تفنوت"، وكان شو إله الحياة، ويتمثل في الهواء والرياح والضوء والماء، وهو الذي فصل الظلام، وهو العمود الذي يرفع في السماء. أما تفنوت فتمثل الرطوبة. وحيث أن شو و تفنوت قد شكلا أول زوجين في العالم، فقد أنجبا "جب"(الأرض)

[1]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص19

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص38،39

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص20، 21، 23، 30

و "نوت"(السماء)أخته وزوجته، ليقوم هذان الأخيران بإنجاب أربعة من الأبناء لم يكونوا آلهة كونية، وهم "إيزيس" و"أوزريس" و"نفتيس" و"سيت" ويرمز الزوجان الأولان إلى قوى خصوبة التربة وتوازن الحياة أما الآخران فيرمزان إلى الجدب والتقلبات المناخية، وه ذا يعبر عن التعارض الملموس بين وادي النيل والصحاري المحيطة به، كما قد يرمز إلى التقابل الأخلاقي بين الخير والشر[1].

أما عن خلق البشر فقد تم بعد أن عاد شو وتفنوت إلى أبيهم "أتوم"، فسالت دموعه من الفرح، ومن هذه الدموع جاء البشر[2].

2- أسطورة خمنو

وسميت بذلك لانتسابها إلى "خمنو" عاصمة الإقليم الخامس عشر من إقليم الصعيد، وتسمى أيضا بالأشمونيين، حيث يشير اسمها إلى الآلهة الثمانية، كما سماها اليونان بهرموبوليس[3].

تقوم هذه الأسطورة على أساس ثامون يتكون من أربعة أزواج إلهية، يتكون كل زوج منها من عنصر ذكري وآخر أنثوي. وهذه الآلهة هي: نون ونونيت، حوح وحوحيت ، كوك وكوكيت، أمون وأمونيت[4]، ويمثل الزوج الأول المياه اللانهائية، أما الزوج الثاني فيمثل الزمان اللانهائي، والزوج الثالث الظلمات التي كان الخواء غارقا فيها، وأما الزوج الرابع فيمثل القدرة الإلهية الخفية التي يضمها العنصر السائل، وقد صورت الآلهة الذكور برؤوس ضفادع أما الإناث فمثلت برؤوس الأفاعي[5].

---

[1]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص31-40 و

Alix Ducret, les mythologies, s.éd (France: Studyrama, 2008) p143, 144

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص84

[3]- المرجع نفسه،ص72

[4]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص43

[5]- المرجع نفسه،ص44، 45

وكانت مادة الكون قبل خلقه في هذه الأسطورة مكونة من المياه الأزلية الموحلة بما علق عليها من طمي. وقد استمدت صورة الأفاعي والضفادع ، حسب البعض، من الصورة البرمائية حين تغرق الأرض بالفيضان ثم يسيطر عليها سكون الماء والطمي ورؤوس الحيوانات الساكنة التي تبرز منه[1].

كان كهنة "خمنو" يرون أن إله الشمس لم يخلق نفسه ، وإنما أوجده ذلك الثامون الإلهي، حيث أنهم أوجدوا بيضة وضعوها على سطح "نون" في خمنو، ومن هذه البيضة ولد إله الشمس الذي خلق بدوره العالم ونظمه، وهذا المذهب لا ينكر القوة الخالقة للشمس، وإنما جعله خاضعا للثامون، علاوة على أن الشمس لم تكن قد ولدت في عين شمس، وإنما في خمنو، مما يدل على المنافسة السياسية بين البلدين[2].

وفي أحد الروايات أن زهرة اللوتس عندما تفتحت كشفت عن الجعل (رمز الشمس) ثم تحول الجعل إلى طفل قام بالبكاء، وفي النهاية تحركت دموعه إلى بشر، وتعتبر هذه الرواية وسيلة أخرى للقول بأن البشر هم أولاد رع، وبما أن زهرة اللوتس تفتح وتنغلق كل يوم، فمن السهل ربطها بعبادة إله الشمس الذي حملته داخل بتلاتها، واعتقد أن رع عندما يفتح عينيه فإنه يفصل النهار عن الليل[3].

3- أسطورة منف

منذ بداية العصر التاريخي، ظهر مذهب ديني جديد كان الدافع السياسي هو الذي أدى إليه، فمنذ أن أصبحت مدينة "منف" عاصمة لمصر، أصبح إلهها الرئيس "بتاح" هو المعبود الرئيس في البلاد، واتجه كهنته إلى وضع مذهب ديني اعتبروا فيه "بتاح" هو الإله الخالق بدلا من "أتوم" الذي كان يحتل هذه المكانة منذ القدم في "أون"[4].

---

[1]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص72

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص42

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص51، 52

[4]- المرجع نفسه،ص52

وفي هذا المذهب كان خلق العالم قد خطط له عقل الإله وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها، وهذا استباق مذهل لعقيدة الإغريق التي ظهرت بعد ذلك بزمن طويل حول "اللوجوس" أو الكلمة المقدسة[1].

وقد صور كهنة "منف" الإله "بتاح" على أنه الخالق القديم، وأن الأرباب التي عرفها البشر لم تكن غير صورة منه، وأنه عندما استوى على عرشه لأول مرة كان روحا للكيان المائي العظيم بكل ما احتواه من آلهة هيولية ذكرية وأنثوية على شكل ضفادع وحيات. وقد صار الإله بتاح أبا لأتوم الشمسي وبذلك اندرج في النظام الإلهي الشمسي[2].

وقد جاء في أحد النصوص، مايلي:«بتاح فوق العرش العظيم ...بتاح الذي ولد الآلهة ...ثم جاء إلى الوجود كالقلب ثم جاء إلى الوجود كاللسان ...هكذا شكل جميع الآلهة، وأنجز تاسوعه. حقا لقد جاء كل أمر إلهي عبر ما فكر فيه القلب وأمر اللسان...»[3]

و يذكر المؤرخ الأمريكي "جيمس هنري بريستد"[4] J.H.Breasted (1865-1935) أن المصري القديم قد استعمل "قلب" لتدل على العقل أو الفهم ، وذلك لا لأنه كان معتادا استعمال المعنويات، بل كان يعتقد أن القلب هو مركز الفهم. أما الأداة التي أصبح بها العقل قوة منشئة، فهي الكلمة التي تلفظ فتعلن الفكرة وتلبسها ثوب الحقيقة، وبذلك تظهر الفكرة إلى حيز الوجود في عالم الكون الملموس، بل صار الإله نفسه هو القلب الذي يفكر واللسان الذي يتكلم.

وبعد قيام الإله بتاح بخلق العالم استراح، حيث ورد في أحد النصوص الآتي[5]:«حينئذ استراح بتاح بعد أن خلق كل شيء وكل كلمة مقدسة»

---

[1]- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ص37، 38 وأيضا:

Alix Ducret, les mythologies, p144, 157

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص75

[3]- جيمس بريتشارد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ،ص39

[4]- جيمس هنري بريستد، فجر الضمير،ص55

[5]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص44

وقد ترجم في مصادر أخرى كالآتي[1]: «وعلى هذا أرضي بتاح، بعد أن صنع كل شيء وكذلك كل أمر إلهي»

4- أسطورة طيبة

الخالق في هذه الأسطورة هو الإله "آمون" وقد شكل على هيئة ثعبان يتخذ العالم السفلي مقرا له. و العالم السفلي هنا محدد في طيبة (وتسمى أيضا واست)، وهي أول مكان ظهر من "نون" على شكل تل أولي، ومن هذا المكان انطلق آمون وبدأ بخلق الأرض ولذلك سمي (إيرتا) وفي مدينة الأشمونيين حشر كهنة طيبة آمون وزوجته في الثامون الهيولي الأشموني حيث صار الإله الأعظم وأصبحت بقية الآلهة السبعة شكلا من أشكاله، ثم صار لقبه **"**آمون رع**"** ليسطر كليا على ألوهية الشمس، واتجه إلى مدينة "أون" وسيطر على تاسوعها ثم اتجه إلى "منف" وسيطر على عرش "بتاح" ثم عاد إلى طيبة واختفى في جحره القديم[2]. ويتضح من هذا، أنه لا توجد في هذه الأسطورة قصة خلق خاصة بالخالق آمون، بل ما قام به هو اكتساح العواصم التكوينية الإلهية القديمة.

ويذكر أن آمون كان مثل رع حيث أضاءت عينيه الأرض وصنع البشر وخلق الآلهة، ونظم التاسوع، ووضع أعضاء الثامون، وكان القوة الفاعلة التي أيقظت "نون" من سباته وبدأ دورة الخلق. وقد خلق البشر من أجل تأسيس المدن على نسق طيبة، حيث كانت طيبة عين رع التي تشرف على باقي المدن[3].

و يعتبر آمون شكل الأنموذج التفريدي الأكبر في التراث اللاهوتي المصري، وبعده يأتي الإله بتاح[4].

5- أسطورة آبو(أسوان)

---

[1]- جيمس بريتشارد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم،ص40

[2]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص90،91

[3]- أحمد سليم وسوزان عباس،دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية،ص63، 64

[4]- خزعل الماجدي،الدين المصري،ص91

الخالق هنا هو "خنوم" إله الشلال وقد كان منذ أقدم العصور إلها محليا في منطقة الشلال الأولى في الإقليم الأول من أقاليم الصعيد وعبد في "إسنا"(مدينة جنوب الأقصر بحوالي 55كم) وغيرها من المدن الكثيرة، وكان إلها خالقا اشتق اسمه من فعل (خنم) أي يخلق وهذا يشير إلى أنه كان خالقا منذ البداية ولم تسبغ عليه صفة الخلق كغيره من الآلهة... وكان الكبش الإفريقي رمزه، ولذلك كان يصور في هيئة رجل له رأس الكبش وأمامه دولاب الفخار حيث يضع فيه ما يشاء من الآلهة والناس[1].

وقد خلق خنوم نفسه بنفسه ثم خلق الكون ، حيث خلق الأرض و رفع السموات على أعمدتها الأربعة وخلق العالم السفلي والمياه، وخلق الكائنات الموجودة. أما الآلهة والبشر فقد شكلهم من الصلصال على عجلة الفخار ثم خلق الحيوانات... وكانت عجلة خنوم تدور طوال اليوم كل هذا الزمن وتصنع كل الكائنات التي نعرفها، وكان خنوم يعير عجلته أحيانا إلى الإله بتاح الذي كان يضع عليها بيضة العالم ليصوغ من هذه البيضة الكائنات. ويرى البعض أن الإله خنوم مع دولابه الطيني يشير إلى أنه إله مائي يستعمل الطين لخلق ما يريد، وهذه المفارقة أخرجت الإله الخالق في مصر عن طبيعته الشمسية في الغالب[2].

و بعيدا عن الأساطير السابقة، جاء في أحد النصوص المصرية التي لم تنسب للاهوت معين، أن البشر خلقوا على صورة الرب. و هذا النص يؤكد على طيبة الإله الخالق، حيث أنه اعتنى بمخلوقاته من البشر، فقد صنع السماء والأرض وفقا لرغبتهم، وصد وحش المياه عند الخليقة. و صنع نفس الحياة لأنوفهم، وهم صوره التي تولدت من جسده. وهو يظهر في السماء وفقا لرغبتهم. وخلق من أجلهم النبات والحيوان والطيور والأسماك لكي يطعمهم. ويجعل النص هدف الخلق هو الاهتمام بالبشر [3]. وقد

[1]- خزعل الماجدي،الدين المصري، ص79

[2]- المرجع نفسه،ص76، 95، 96

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص46

جاء في أحد أجزاء هذا النص [1]: «البشر رعية الله، خلق السماء والأرض لينتفعوا بهما، بعد أن دحر مارد الماء، وخلق النسمة كي تحيا أنوفهم. إنهم صوره التي انبثقت من جسده»

و لم تقتصر أساطير الخلق في مصر على هذه الأساطير التي ذكرناها، بل ظهرت أساطير أخرى في العديد من المدن الهامة في مصر القديمة، ولكننا حاولنا ذكر أهمها وأشهرها.

و يلاحظ مما سبق أن المياه الأزلية الراكدة والمظلمة اعتبرت أول عنصر في الوجود، كما أن الخالق نفسه، كما في معظم الأساطير ، يظهر من خلالها. و قد جعلت العناصر الكونية في مقام الآلهة، وكان خلق العناصر التالية لها عن طريق تزاوجها، ولكن بعض الأساطير تروي أن الخلق كان عن طريق الكلمة الآمرة، وهي فكرة سامية عن الخلق. وعن خلق الإنسان بالخصوص، فقد خلق من دموع الإله، إلا أنه قد جاء في أحد الأساطير أنه خلق من مادة الطين. و إذا كانت بعض الأساطير تجعل خلقه مجرد أمر عرضي، ناتجا عن انفعالات الخالق، فإن بعضها تذكر أن الكون خلق من أجل البشر، وأنهم قد خلقوا على صورة الرب الخالق.

[1] – دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، تر: علي خليل،ط 1(دمشق:دار السوسن،2005)ص327 ويذكر مؤلف هذا الكتاب أن هذا النص جاء كرواية تكوينية في وصية للملك "مريكاري" من القرن الواحد والعشرين ق.م. أو قبل ذلك بكثير.المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: في كـنعـــان

يطلق اسم "كنعان" على المنطقة المحصورة بين وادي الفرات شرقا و البحر المتوسط غربا، وبين جبال طوروس شمالا وحدود الصحراء العربية جنوبا. وقد وردت تسمية "كنعان" و "كنعانيون" في التوراة للدلالة على أرض فلسطين وشعبها [1]. والكنعانيون هم شعب سامي عربي هاجر من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وتقدر سيادة الكنعانيين على هذه الأرض من 2600 إلى 1000ق.م [2] ، وقد برع الكنعانيون في تأسيس المدن العظيمة و الملاحة، إلا أعظم منجزاتهم الحضارية كان اختراعهم للأبجدية.

أما عن الديانة الكنعانية ، فقد ارتكزت على تأليه قوى الطبيعة ومظاهرها وعلى تمجيد الخصب والإنتاج، وقد امتازت الطقوس الكنعانية بالقسوة مثل تقديم الضحايا البشرية للآلهة، إضافة إلى اهتمامها الغليظ بالنواحي الجنسية، حيث كانت معابدهم تضم عددا من العاهرات "المقدسات" من أجل ممارسة البغاء "المقدس" [3].

وقد كانت آلهة الكنعانيين ذات طابع غير محدد أو ثابت، فهي كثيرا ما تتناوب صفاتها ووظائفها وصلاتها-بل كذلك جنسها- حتى ليصعب أحيانا أن نعرف حقيقة طبيعتها وصلات بعضها بالبعض الآخر، ولعل سبب ذلك يرجع إلى انعدام الوحدة بين القوم كما يرجع إلى عدم وجود طبقة من الكهان منظمة تنظيما كافيا، تستطيع أن تقيم تنظيما دينيا سليما [4]، وذلك مثل بلاد الرافدين أو مصر.

أولا- صفـات الخالـق

[1]- فراس السواح، آرام دمشق واسرائيل،ص19

[2]- سامي المغلوث، أطلس الأديان،ص547

[3]- نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط(دمشق: دار الفكر، 1972)ج2، ص18، 19

[4]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص214، 215

جعل الكنعانيون لكل ناحية من نواحي الحياة إلها، فكان لديهم إله الحرب وثاني للشفاء وثالث للأمراض وآخر للصيد والملاحة والزراعة والحدادة وحتى الموت جعلوا له إلها، غير أن الخصب استأثر أكثر من غيره في ديانتهم[1].

وقد تصوروا آلهتهم بأشكال بشرية تحدثوا معها وتعرفوا على أعمالها، وابتدعوا أشياء تمثلها أو ترمز إليها، واحتراما للآلهة وخوفا منها لم يتجرأ الكنعاني على ذكر آلهته بأسمائها الشخصية، كما أطلق عليها ألقابا تشير إلى صفة من صفاتها مثل "بعل" ويعني رب وقد كان لديهم الكثير من الأبعال، حيث كان لكل مدينة بعلها أو بعلتها[2].

و الإله الخالق في الديانة الكنعانية هو **"**إيل**"**، حيث نجده يرأس البانثيون (المجمع الإلهي) الكنعاني، ويمثل السيادة على الكون[3]. وفي نصوص "أوغاريت" نجده كبير آلهتها، وهو خالق العالم وخالق الخلق، كما تصور مقامه عند منبع النهر(نهر أدونيس) حيث ينبثق المحيطان الأرضي والسماوي ومقامه هو مركز الكون. وقد خلق الأرض وكل ما عليها، وهو أب الآلهة وخالق البشر وأبوهم كذلك، كما أنه أبو السنين (أي الخالد) والملك والثور(كناية عن القوة) والحكيم والطيب وذو الفؤاد. وهو النور الذي يحمل نطفة الإخصاب، وفي احتفال الزواج المقدس كان إيل يمثل فيه مع زوجتيه **"**عشيرة**"** و**"**العذراء**"**، وولدين له إلهي الخير والعطاء **"**لاشاهار**"** و **"**شاليمو**"**. وقد تخيل الأوغاريتي إيل عجوزا ذا لحية بيضاء، ويجلس على عرشه واضعا قدميه على مسند، لا يتدخل في شؤون الحياة اليومية للإنسان إنما يكلف بذلك الإله **"**بعل**"** وإذا غاب يحل **"**عشتار**"** مكانه[4].

---

[1]- حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة،د.ط (بيروت:دار الفكر اللبناني،1994)ص91

[2]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

وف.دياكوف وس.كوفاليف، الحضارات القديمة،تر: نسيم اليازجي، ط1 (دمشق : دار علاء الدين،2000)ج1،ص169

[3]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص200

و محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، د.ط(بيروت:دار النهضة العربية، 1981)ص144

[4]- حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة،ص 72 ومحمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص215،216

ويأتي في المقام الثاني بعد إيل مباشرة الإله "بعل" الذي يجسد شرخ الشباب والجموح والنصر والتدخل الفاعل في أمر العالم في سبيل طرد العناصر الطبيعية المؤدية إلى الفوضى. وبعل بالدرجة الأولى إله العواصف، وقد صور و هو يمتشق الصاعقة والهراوة. و في التوراة يظهر كأخطر إله بالنسبة إلى "يهوه"[1]، هذا رغم أننا سنجد تشابها كبيرا بين الغريمين، كما سنرى لاحقا.

وبخصوص أسطورة التنين، فقد تبين بعد اكتشاف نصوص أوغاريت (رأس شمرا) أن الصراع الأزلي بين الخالق والتنين شكل جانبا مهما في تصور الكنعانيين لأسطورة الخلق.

وفي هذا الصراع الأزلي نجد الإله "بعل" يلعب الدور نفسه الذي لعبه "مردوخ" حسب الإينوماإيليش في قهر المياه الأولى، وإحلال نظام الكون. والمياه البدئية هنا يمثلها الإله "يم" بن إيل، وعندما يصبح اللوح الفخاري واضحا للقراءة، نجد الإله "يم" وقد بدأ النزاع مع "بعل"، فهو يتلو على رسوليه كتابا موجها لمجمع الآلهة، يطلب فيه تسليم "بعل" ليصبح عبدا له، والظاهر أن بعل قد تحاشى الصدام مع "يم" في البداية ولجأ إلى مجمع الآلهة، ولكن المجمع نفسه لا يستطيع أن يحمي بعل من سطوة يم الذي كان يتمتع بسلطة واسعة، و قوة فائقة[2].

أما بقية القصة فنعثر عليها في لوح آخر ناله التشوه ما نال اللوح الأول. تعلمنا المقاطع الواضحة من هذا اللوح عن تعاون الإلهين الحرفيين **"**كوثر**"** و**"**حاسيس**"** مع الإله بعل إذ يصنعان له سلاحين ماضيين يستخدمهما ضد يم، و بعد الانتهاء من صنع السلاحين يتقدم الإلهين لبعل بنبؤتهما[3] :

« إني أقول لك أيها الأمير بعل

وأعلن لك يا ممتطي الغيوم

هذا خصمك وستذبحه »[1]

1- رينيه لابات وآخرون ،سلسلة الأساطير السورية،ص435

2- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص212،213

3- المرجع نفسه،ص115

وفعلا يتغلب بعل على خصمه يم :

« عندئذ انطلقت الهراوة من يد بعل

كالصقر من بين أصابعه

وضربت يم على جمجمته

والقاضي انهار على جبهته

فجر بعل يم ومزقه »[2]

وهنا تضطرب الآلهة لهذا الحدث وينقسمون بين راض وساخط، وتتوجه "عشتار" بالقول إلى بعل:

«مزقه يا بعل العلي بعثره يا راكب الغيوم

لقد مات يم وقضى نحبه

فليسد بعل ويحكم»[3]

و بانتصار بعل على المياه، تنتصر قوى النظام والحضارة على قوى الفوضى و العماء. ويروى أن بعل بعد انتصاره ذاك قد قام بتنظيم الكون ووضع أسس الحضارة، كما أنه بعد انتصاره يلزمه بيت لسكناه، كما هو شأن الآلهة الكبرى، وهذا ما تخبر به نصوص أخرى[4].

و يذكر مؤرخ الأديان "مير سيا إلياد"[5] أن تشييد معبد أو قصر (بيت) بعد انتصار الإله ضد التنين، يعلن عن ترقية للصف الأول. وأن بعل بانتصاره ضد العماء المائي، وبتنظيمه لإيقاع المطر، كون العالم كما هو الآن.

[1]- رينيه لابات وآخرون ، سلسلة الأساطير السورية،ص457

[2]- المصدر نفسه،ص459

[3]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص117

[4]- المرجع نفسه،ص118

[5]- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،ص194.

و يذكر بعض الدارسين أن الإلهة "عنات" أو "أنات" هي من قضت على "لوياثان" الأفعى ذات السبع رؤوس[1]، حيث نجد في أحد النصوص أنها تنسب ذلك لنفسها:

« ألست التي محقت يم حبيب إيل ؟

ألست التي قضت على نهر، الإله العظيم ؟

ألست التي أفنت التنين ؟

وسحقت الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة ؟ »[2]

غير أن هناك نصوصا أخرى تتعلق بالصراع بين الإله بعل والإله "موت" جاءت فيها عبارات صريحة تفيد أن بعل هو الذي سحق التنين، وقد وردت في خطاب وجهه موت إلى بعل، بحيث تقدم لنا موت على أنه المنتقم من بعل قاتل "لوتان" أو التنين، الحية الملتوية، الحية الملعونة ذات الرؤوس السبعة.

ومن هذه النصوص النص الآتي [3]:

الآن وقد قتلت لوتان

الآن وقد سحقت رأس التنين

الآن وقد قضيت على الحية الملتوية

الحية الملعونة ذات الرؤوس السبعة

الآن وقد اكتنفتك السماء بهالة من مجد

تذكر أيها الظافر البعل أني إله الموت

أبقيت عليك، لم أدخلك في شدقي

---

[1]- آرثر كورتل ،قاموس أساطير العالم،ص31

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص123

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص68،69

وفي نص آخر[1]:

عندما تضرب لوتان الحية الهاربة

وعندما تقضي على الحية الملتوية

شاليات ذي السبعة رؤوس

ثانيا- عمليـة الخـلــــق

ميز الأوغاريتيون (الكنعانيون) بين العالم العلوي(السموات – عالم الآلهة) والعالم السفلي(مملكة الموت)، والعالم الذي يتوسط كلا العالمين السابقين، وهو العالم الأرضي، حيث يعيش الناس. أما فيما يتعلق بما قبل الزمن الكوني، فهو الأزلية التي تتصف بالسكون. وقد كانت عملية خلق الكون بالنسبة للأوغاريتيين "بناء"، أي نشاطا إبداعيا هادفا، غير أن اللغات السامية، بما فيها المجموعة الكنعانية الأمورية تعرف استخداما آخر لهذا الفعل (أي بنى) بمعنى "يلد"، وعليه يكون تصور النشاط البناء للآلهة كعملية "ولادة". وحسم هذه المسألة مؤجل إلى أن تظهر مصادر جديدة[2].

وإلى حد الآن لا توجد أسطورة خلق كنعانية خاصة في ألواح أوغاريت [3]، ماعدا نصوص تلمح إلى هذه العملية، ومن ذلك نص يرد فيه أن الله يجلس على المياه كما يجلس الطير على بيضة، و كما يفرخ هذا الأخير صغاره فرخ الله الحياة من الخراب[4].

غير أن هناك أسطورة خلق كنعانية قام بروايتها الكاتب السوري "فيلون الجبيلي"(حوالي61-141م) الذي يرجعها إلى كاهن فينيقي قديم اسمه "سانخونياتن" ولد حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد حفظت في كتاب المؤرخ الكنسي "يوسابيوس"(264-340م)[5].

---

[1]- رينيه لابات وآخرون ،سلسلة الأساطير السورية،ص491

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص65

[3]- خزعل الماجدي،المعتقدات الكنعانية، ط1(عمان:دار الشروق،2001)ص90

[4]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص66

[5]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص212

تذهب هذه الأسطورة إلى أنه في البدء كان كل الوجود عبارة عن هواء سميك وفضاء ومنها خرجت الريح، وخرجت الشهوة، وهما بدورهما أخرجا الجبل، وكان شكله على هيئة بيضة، وفي داخل البيضة تكونت المخلوقات وبقيت في حالة الجنين، دون حركة إلى أن انشقت البيضة وقذف الجبل حينئذ الشمس والقمر والنجوم، إثر الضوء، فانفصلت المياه عن السماء[1].

ولم يكن خلق الإنسان أقل تعقيدا من ذلك، فمن الريح المسماة "كولبيا" وزوجه المسماة "باو" ولد "إيون" (أو الحياة) و "بروتو جونوس"(أو أول مولود)، وكان إيون أول من عرف الفواكه الصالحة للأكل، ثم ولد لهما من الأولاد : جنوس(أي الجنس) وجنيا(مؤنث جنس)، وهما أول من عبد الشمس[2].

ومن ذلك الزوج البشري الأول، خرج الكنعانيون وذرية فينيقيا، وعددهم مائتان، وأنجب هؤلاء أولادا ضخام الأجسام سميت بأسمائهم الجبال التي ملكوها، ثم ولد من أصلابهم نساء عاهرات[3].

والظاهر على هذه القصة أنها كتبت بخلفية يونانية، وهي الأسطورة الوحيدة المتوفرة لدينا حتى الآن عن الخلق. و يلاحظ أنها تختلف عن معظم أساطير الخلق في الشرق الأدنى القديم، حيث لم تجعل المياه العنصر الأول في الوجود، التي يظهر منها الخلق، بل تذكر أن أول موجود كان الهواء السميك والفضاء. و رغم ذلك فإنها تتشابه مع معظم أساطير الشرق الأدنى في عنصري الظلام و اللاتشكل السابق على الخلق. أما عن أسلوب الخلق فقد كان عن طريق البيضة التي تحمل داخلها مكونات العالم، ومن خلال انقسامها يظهر العالم إلى الوجود. أما عن خلق الإنسان فيلفه الغموض، حيث تذكر أنه خلق من الريح؟ وزوجه، كما لم تتعرض لخلق بقية البشر بل اكتفت بذكر الكنعانيين فقط، وأنهم نسل الزوج البشري الأول.

---

[1]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص211، وحسب مرجع آخر يوصف الفضاء أو الخواء الأولي بأنه كان مظلما، ينظر فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ص125

[2]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص211

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص66

المبحث الرابـع: فـي فـــــــارس

سكن بلاد فارس في القديم الفرس و الميديون، فبينما استقر الميديون في الغرب، استقر الفرس في الجنوب، وقد خضع كلاهما للهيمنة الآشورية، لكنهم استقلوا بأنفسهم بعدما قهروا الدولة الآشورية سنة 1000ق.م، وقد أسس "قورش" امبراطورية فارس عام 550ق.م، و كانت من أوائل الإمبراطوريات آنذاك، وفي 521ق.م توج الملك "دارا" بسيطرته على الأراضي الفارسية. و قد قضي على هذه الإمبراطورية بعد انتصار "الإسكندر المقدوني" عليها عام 334ق.م[1].

وعن الديانة في فارس، فقد كانت في العصور السابقة على ظهور "الزرادشتية" واحدة من ديانات الهندو- أوربيين الوثنية، يعبدون قوى الطبيعة المختلفة مثل الشمس والقمر والأرض والنار والماء والريح، واعتبروا كلا منها إلها، وكانوا يقدمون لها القرابين والأضاحي، ويقوم بذلك طبقة من الكهنة، وهؤلاء هم المجوس الذين كانوا يحتلون مكانة عالية في المجتمع، وكانوا يقومون بتفسير الأحلام للناس ، ويؤمن بهم العامة وبقوتهم الخارقة في عمل السحر وإخراج الشياطين[2].

وكان أكبر الآلهة هو "مثرا" إله الشمس، ثم "أنيتا" إله الخصب. وقد غدت النار أكثر قدسية من غيرها من العناصر لدى الفرس القدماء الذين قدسوا الأرض أيضا، وقد ظهرت آلهة عديدة في البداية ثم قسمت إلى مجموعتين متفرعتين من أصل واحد هو المثل الأعلى ، ويقوم البعث بعد الصراع بين قوى الخير وقوى الشر وينتصر الحق في النهاية[3]. والملاحظ أن ديانة "زرادشت" اللاحقة، كما سنرى، تتفق في أمور كثيرة مع هذه الديانة السابقة.

وقد اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون في شخصية "زرادشت" فأنكرت قلة وجوده أصلا، ورأت فيه مجرد شخصية خرافية، لكن الأغلبية رأت فيه شخصية واقعية وإن اختلفت في تحديد تاريخه. فمنهم

[1]- سامي المغلوث، أطلس الأديان،ص597

[2]- أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم،ط2(مصر: المكتبة الأنجلومصرية، 1963)ص230

[3]- نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم،ص93

من جعله في مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، ومنهم من أوصله إلى القرن الستين قبل الميلاد. ولكن الأشهر عندهم أنه ولد في 660 ق.م وتوفي سنة 573ق.م[1].

ومن المرجح أن موطنه الأصلي كان أرض الميديين، غير أن دعوته لم تنجح في بلده، فهاجر منها بحثا عن حاكم يؤمن بما يدعو إليه، ووجد ما أراده في أحد الأمراء ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الزرادشتية الديانة الأولى بين الفرس[2]. و الزرادشتية هي الديانة الوحيدة من ديانات الشرق الأدنى القديمة التي لا يزال لها أتباع إلى يومنا هذا.

أولا- صفات الخالـــق

يرى بعض الدارسين [3] أن المعتقد الزرادشتي تميز بابتكاره لمفهوم الوحدانية الثنوية، حيث حاول تقديم تفسير منطقي لوجود الشر في العالم، فأهورامزدا" واحد ولا ثاني له في الألوهية، خالق كل ما هو طيب وحسن، ولكنه ليس مسؤولا عن وجود الشر في العالم، ولم يكن ليرتضي وجوده منذ البداية بل قد سعى إلى مكافحته بكل السبل، وسوف ينتصر عليه في معركة تمتد على مدى تاريخ الكون والإنسان ، وستشهد نهاية هذا التاريخ انتصار "أهورامزدا" واختفاء "أهرمن"(الشيطان) وأعماله إلى الأبد.

---

[1]- أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة،ص111، 113

[2]- محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ص416،418،419

[3]- فراس السواح،الرحمن والشيطان، ط1(دمشق : دار علاء الدين،2000)ص82، 83

ويلاحظ أن الكثير من الباحثين ذهبوا إلى أن دين زرادشت كان التوحيد ومن أشهر القدماء القائلين بذلك الشهرستاني(ت 548هـ) حيث يقول:«وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» راجع الشهرستاني، الملل والنحل، إشراف وتقديم: صدقي جميل العطار، د.ط(بيروت: دار الفكر، 2008)ص192 ومن الدراسات التي ترى في دعوة زرادشت أنها دعوة توحيدية، أو على الأقل أنها كانت في أصلها كذلك :

-الشفيع ماحي أحمد، زاردشت و الزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة الكويت، 2001، الحولية 21، الرسالة 160، ص38-40

-كامل سعفان ، معتقدات آسيوية، ط1(مصر: دار الندى،1999)ص106-108

- علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام،ط1(القاهرة:مكتبة نهضة مصر، 1964)ص143-145

- إبراهيم محمد إبراهيم،الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها،ط1(مصر:مطبعة الأمانة،1985)ص182-184

وقد جاء في أحد النصوص الأفستية: «عندما يحين عقاب الأشرار ستبقى لك السلطة والحكمة الخيرة، يا مزدا. يأمر آهورا تلك السلطة والحكمة الخيرتين. وسيحال الأشرار إلى يد النزاهة[العدالة]»[1] .

فالإله المطلق في الزرادشتية هو "أهورامزدا" تفيض عنه كافة الموجودات، وهو يشغل في الأناشيد المكان الأول، إنه طيب وقدوس وقد أبدع الكون بالفكر، حاضر في كل مكان، وهو الواحد الخالق، وهو الذات التي لا بداية لها ولا نهاية، وثيولوجيا "زرادشت" ليست ثنائية تعتمد على التقابل بين قطبين إلهيين، فالمعارضة تبدو بين الروحين على المستوى الثاني، كما أن السيناريوهات التي تصور الصراع بين الإله والشيطان هي إضافات لاحقة[2]، كما يرى بعض الباحثين.

ويذكر البعض أن الزرادشتية اللاحقة قامت بالمطابقة بين الرب الحكيم و الروح القدس ولذلك نشأت مشكلة جديدة، وهي ما الذي يقصد بالإعلان أن روح القدس والروح المدمرة كانتا توأمين؟ [3] حيث أن الرب الذي كان منه الروح القدس و الروح المدمرة(أو الخبيثة) أنزل إلى مقام هذه الأخيرة أيضا.

وفي أحد التفسيرات الزرادشتية أنه لم يكن في البدء سوى "أهورامزدا"، وجود كامل وتام ومكتفي بنفسه، ولكنه اختار أن يخرج من الكمون فكان أول خلقه روحان توأمان هما "سبينتا ماينو" و"أنجرا ماينو"، ولكي يكون لهذين الروحين وجود حقيقي مستقل عن خالقهما، فقد منحهما أهورامزدا خصيصة الحرية، فاختار الأول الخير ودعي بالروح القدس، واختار الثاني الشر ودعي بالروح الخبيث، ثم راح يتحفز للانقضاض على الخلق القادم ويقاوم كل عمل حسن [4].

ورغم أن أهورامزدا كان قادرا منذ البداية على سحق أنجراماينو ومحو الشر في مهده، إلا أنه قرر عدم التناقض مع نفسه بالقضاء على مبدأ الحرية الذي أقره وأقام عليه خليقته، وآثر السير بخطته التي

---

[1]- خليل عبد الرحمن، أفستا"الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية"،ص63

[2]- نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية،ص31،33

[3]- خليل عبد الرحمن، أفستا"الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية"،ص62

[4]- فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص83

يذكر "حبيب سعيد" أن هذين الروحين لم يخلقهما أهورامزدا وإن كانا يلتقيان فيه، وقد خلقا قبل إنشاء العالم! حبيب سعيد، أديان العالم، د.ط (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت)ص151

تقوم على مقاومة الشر استنادا إلى ذات المبدأ الذي أنتج الشر وهو الحرية. وهنا عمد بمعونة الروح القدس إلى إظهار ستة كائنات نورانية قدسية إلى الوجود، فشكلت بطانته الخاصة ويدعون ب"الأميشاسبينتا" أي الخالدون المقدسون ، وقد أوجدهم من روحه كمن يشعل الشموع من مشعل متقد[1].

ورغم أن لهذه المخلوقات تجسيدات إلا أنها تعتبر كمظاهر للصفات الأهورامزدية أو تجليات القدرات الإلهية المتعددة[2]، وهي على التوالي: الفكر الحسن، الحقيقة الناصعة، الملكوت القادم، الإخلاص، الكمال، الخلود. وبالمقابل فإن أنجرا ماينو قد استنهض عددا من الكائنات المتفوقة تدعى "الديفا" وعمد إلى ضلالتهم، فراحوا يتهيئون للانقضاض على كل عمل طيب يصدر عن أهورامزدا[3].

ثانيا- عملية الخـلـق

سار خلق أهورامزدا للكون على درجتين، الأولى تدعى "مينوغ" وهي حالة من الوجود المثالي غير المتحقق في الوجود المادي، والثانية تدعى "جيتينغ" وهي حالة الوجود المادي المتحقق في أشكال ذات قوام خاص. والحالة الثانية خير من الحالة الأولى لأنها انتقلت بالكون من حالة الهيولى إلى حالة الثبات والنظام، وهذا ما يميز خلق أهورامزدا عن خلق الشيطان، و ما يبدو لنا من قصور في صيرورة العالم المادي، فليس إلا نتيجة لامتزاجه بعناصر الشر التي جاءت من الشيطان [4]. وعن كيفية الخلق، فقد جاء في النصوص الزرادشتية أن أهورامزدا قد أبدع العالم بالفكر، وهوما يماثل الخلق من العدم[5]

[1]- فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص83، 84

نجد "العقاد" يذكر قصة قريبة من هذه مفادها أن هرمز (أهورامزدا) و أهريمن مولودان لإله قديم يسمى "زروان" ويكنى به عن الزمان، وأنه اعتلج في جوفه وليدان فنذر السيادة على الأرض والسماء لأسبقهما إلى الظهور، فاحتال أهريمن حتى شق له مخرجا إلى الوجود قبل هرمز، فحقت السيادة لأه ريمن وعز على أبيهما أن ينقض نذره، فأصلحه بموعد ضربه لهذه السيادة ينتهي بعد تسعة آلاف سنة. ويعود الحكم بعده لإله الخير خالدا بغير انتهاء، ويؤذن له يومئذ في القضاء على إله الشر وتبديد غياهب الظلام.عباس محمود العقاد، الله،ص89 .

[2]- نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية،ص34

[3]- فراس السواح،الرحمن والشيطان ،ص84

[4]- المرجع نفسه،ص85، 86

[5]- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية،ص383

و قبل نقل الخليقة من الحالة الروحية إلى الحالة المادية الجسمانية طلب أهورامزدا من الفرافاشي (أرواح العادلين المؤمنين، وفي الوقت نفسه نماذجهم السماوية) فيما إذا كانت تقبل بوجود جسدي على الأرض بهدف مقاومة الشر، فرضي الفارفاشي بذلك، وقد كانت الخليقة المادية قبل هجوم أهريمن طيبة وكاملة، وقد قام أهريمن وجحافله الشيطانية بإفساد العالم المادي باختراقه وتوسيخه من قبل مخلوقاته الضارة، وبخاصة في أجساد البشر. والواقع أن بعض النصوص يفهم منها أن أهريمن لا يرد على الخليقة المادية لأهورا بخليقة مادية من نوع سلبي، فمن أجل إفساد العالم يكفيه أن يدخل إليه وأن يسكنه، وبالنتيجة عندما لا يكون له سكن في أجساد البشر، فإن أهريمن سيزول من العالم قاطبة [1]. وهذا عكس ما سنذكره من خلال بعض الروايات التي تروي خلقا حقيقيا وماديا لأهريمن، وهو خلق شرير يتوافق مع طبيعة خالقه، ويتناقض مع خلق "أهورامزدا" الخير.

وعن انتقال العالم من درجة المينوغ إلى درجة الجيتينغ، فقد تم ذلك على ستة مراحل زمنية هي كالتالي[2]: في البداية خلق أهورامزدا السماء من صخر كريستالي، ثم خلق الماء فالأرض فالحياة النباتية فالحياة الحيوانية، وأخيرا خلق الإنسان الأول. وفيما يتعلق بالأرض وهي بؤرة الكون، فقد أقام حولها سلسلة جبال شاهقة تتصل بجبل يقع في مركز الأرض يدعى جبل "هارا"، ومنه تنطلق أرواح الموتى في رحلتها إلى السماء. ثم قسم الأرض إلى سبعة أقاليم جميعها أراض سهلية، وأول هذه الأقاليم هو الوحيد المأهول بالسكان، وحوله تتوزع الأقاليم الستة الأخرى. وصنع بحرا يغطي الأرض لجهة جنوبها وفي وسطه جبل مصنوع من جبلة السماء، ومن البحر فجر نبعين غزيرين يحدان الجهة الشرقية والجهة الغربية للإقليم المسكون، وزرع في البحر شجرة تحتوي على البذور المعروفة بأنواعها تدعى شجرة كل البذور، وشجرة أخرى تدعى شجرة الشفاء والحياة الأبدية.

وفي أحد الروايات الأفستية أن "أهورا" قام خلال الآلاف الثلاثة التي قضاها "أهريمن" في جوف الظلام بخلق العالم من النور اللانهائي، خلق النار من ذلك النور ووضع الضياء والشعاع من النار. وأنشأ

[1] – نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية،ص46،47

[2] – فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص86

من النار الهواء على هيئة فتى بلغ الخامسة عشرة من عمره. ثم الماء من الهواء والتراب من الماء. وعندما تهيأت العناصر الأربعة بدأ في خلق العالم. فخلق أولا قبة السماء من الفولاذ المنصهر وجعله سياجا للعالم وذلك خلال أربعين يوما ، وقد بنى سبع سموات، وضع في السماء الأولى القمر والشمس والكواكب، واختار من بين الكواكب والنجوم أربعة وأمرها على الأخرى وهي المقدسة، والسماء السادسة مأوى الملائكة وفي السابعة عرش أهورا[1].

ثم أوجد البحار و الرياح الممطرة كي لا تجف البحار خلال خمس وخمسين يوما، وثالثا:الأرض في سبعين يوما وجعلها في كبد السماء وأحدث الجبال ووضع فيها الفلزات ، ورابعا:أنبت النباتات في خمسة وثلاثين يوما، وقد أوجد في وسط الأرض نباتا حلوا يدعى "الراوند" خاليا من الفروع والأشواك وجعل هذا النبات يحتوي بذور النباتات عامة، و خامسا: الثور الأولي على يسار نهر "دايتي"، وسادسا الإنسان الأولي "جيومرت" على الضفة اليمنى للنهر[2].

وبعد انتهاء أهورامزدا من صنع الكون، قام أهريمن بالانقضاض عليه، حيث اقتحم الجزء السفلي من قبة السماء فشوهها، ثم انتصب مثل الحية وقفز نحو تجمعات النجوم فشتتها وأحل الاضطراب في نظام السماء، ثم غطس في البحر فأفسد ماءه بالملح، وتوجه نحو الينابيع فجففها وإلى السهول الخضراء فأذبل مزروعاتها ونشر فيها الصحاري، وبث فيها الأفاعي والعقارب وكل دابة مؤذية ، وانقض على النار فلوثها بالدخان وعلى الإنسان الأول فذبحه ، وهكذا زرع الشيطان الموت والفساد في خلق أهورا. ورغم أن "الأميشاسبينتا" قد تصدت للهجوم وباشرت بإصلاح ما خربه الشيطان، إلا أن العالم لن يعود إلى سابق عهده من النقاء والطيبة لأن الفساد قد عشش فيه[3] .

و قد أخذ "الأميشاسبينتا" بذور الإنسان الأول القتيل فطهروها بضوء الشمس وزرعوها في التربة، فخرجت منها نبتة انطوت أوراقها على الزوجين البشريين الأولين "ماشيا" و"ماشيو". وعندما

---

[1]- نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية،ص45،46

[2]- المرجع نفسه،ص46

[3]- فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص78، 86

افترقت عنهما الأوراق كانا ملتصقين في وضعية العناق لا يتبين منهما الذكر عن الأنثى، فنفخ فيهما أهورا روحا فانتصبا أمامه بشرا سويا، وقال لهما :«أنتم الإنسان ، وأنتم سلف العالم . خلقتما كاملين، فحافظا على الفكر الحسن والكلمة الحسنة والعمل الحسن، ولا تخضعا للشيطان»[1].

وقد صور الإنسان الأول "جيومرت" في الميثولوجيا الزرادشتية بشكل إنسان عملاق، خنثى، وهو الإنسان الكامل العادل بامتياز، كما أنه المساوي لزرادشت وساوشيان(المنقذ). و يذكر أن جيومرت في الخليقة المادية هو أول من يتلقى الكشف للديانة الجديدة، و الذي انتقل إلى "مشيا" و"مشيانا" الذين أوصلاه إلى أبنائهما. و عن وجود الموت في العالم المادي فقد أدخل من قبل أهريمن على إثر خطيئة الأجداد نتيجة المعصية[2].

وكخلاصة للميثولوجيا الفارسية (الزرادشتية) السابقة، نجد أن الخلق الأول كان روحيا، وبعدها وجد الخلق المادي. وأن الخلق وجد من عدم، حسب بعض النصوص، بحيث لم يكن هناك مادة أزلية سابقة على الخلق. كما أن أسلوب الخلق كان راقيا؛ إذ كان يتم بالفكر، وقد قسمته الأسطورة إلى مراحل تستغرق كل مرحلة أياما عديدة . و عن خلق الإنسان، فقد خلق أهورامزدا أول إنسان ولكن الشيطان قضى عليه، ومن بذوره التي خرجت على شكل نبات خلق أول زوج بشري، وقد كان الهدف من خلق الإنسان والعالم كله محاربة الشيطان وشروره.

في نهاية هذا الفصل الخاص بأساطير الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم، اتضح لنا أن هذه الأساطير تشابهت في بعض النقاط، منها أن معظم الأساطير تقول بأسبقية المادة الهيولية الأولى على الخلق وأزليتها، وقد كان عنصر الماء أهم مكوناتها، وكثيرا ما كانت توصف هذه المياه الأولية بأنها مظلمة و راكدة و خربة، كما قسمت معظم الأساطير الخلق إلى مراحل متتابعة، كما ركزت على أهمية الإنسان

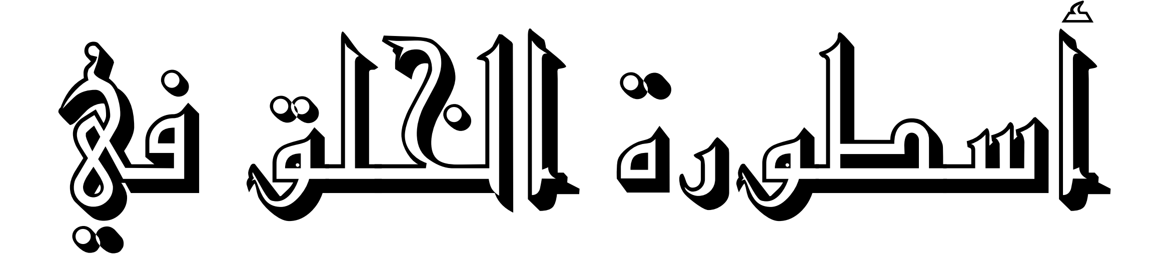
[1] - فراس السواح، الرحمن والشيطان،ص87

[2] - نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية،ص50

ومحوريته بين باقي المخلوقات الأخرى، وذهبت أغلبية الأساطير إلى أن الإنسان يحمل عنصرا إلهيا في خلقه، وأنه خلق من طين الأرض.

و بالمقابل اختلفت في نقاط أخرى، من أهمها: كيفية خلق العالم و الإنسان، و الهدف من خلقهما.

الفصل الثالث:





سيتناول هذا الفصل أسطورة الخلق في التوراة دون غيرها من المصادر الأخرى؛ وذلك لاستحالة استقصاءها في جميع المصادر في هذه المذكرة الموجزة من جهة ، ومن جهة أخرى لأن الفرق اليهودية لم تتفق على قدسية باقي المصادر اتفاقهم على التوراة، بل نجد فرقا رئيسة تهاجمها وتفندها، قديما وحديثا. كما أن التوراة هي أساس اليهودية ومحورها، وليست باقي المصادر إلا محاولات لشرحها وتفسيرها، وإن أعطيت طابع القداسة بعد ذلك.

و لقصة الخلق في اليهودية طابع خاص، حيث جاء في موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية:«لكن تلك الأبحاث(الأبحاث حول قصة الخلق) لا يجب أن يتدارسها الجميع، وتحضر المشنا تعليمها ، ولو حتى لتلميذين معا، و رغم ذلك تكثر *الأساطير* التي تتحدث عن عملية الخلق»[1] .

ونجد الحاخام اليهودي "موسى بن ميمون "* يذكر هذا الأمر أيضا في كتابه الشهير "دلالة الحائرين" ويورد فيه أثرا يقول:«ولا ينبغي أن يبحث عن قصة الخلق لاثنين» ويعتبر "ابن ميمون" ذلك من العلم المضنون به على الجمهور[2] .

و بالرجوع إلى التوراة، نجد أن رواية الخلق قد احتويت في سفر التكوين، وبالضبط في الإصحاحين الأول والثاني ، وهما يضمان روايتين متمايزتين لا رواية واحدة كما سنرى، وبالإضافة إلى ذلك ترد إشارات أخرى عن صراع الخالق مع التنين تسبق عملية الخلق – حسب رأي بعض الدارسين– وذلك في بعض إصحاحات "إشعيا" و"المزامير" و"أيوب"؛ وعليه فسيخصص مبحثان لروايتي سفر

---

[1]– رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ط1(القاهرة: المكتب المصري، 2002)ص196

*– موسى بن ميمون (1135–1204م) حاخام يهودي، وهو أعظم فلاسفة اليهود في دائرة الثقافة الإسلامية، وفي القرون الوسطى في أوربا. ولد بقرطبة، وأقام بمصر، وبها وضع أغلب مؤلفاته ، ويبدو تأثره في كتابه "دلالة الحائرين" بأرسطو وفلاسفة المسلمين واضحا، ويذكر أنه لم يكن لكتاب عبري تأثير بعد التوراة والتلمود مثل تأثير "دلالة الحائرين". يمكن مراجعة ترجمة "موسى بن ميمون" بالتفصيل وفكره عند:

عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، د.ط(القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994)ص39–44

وأيضا: Maurice-Ruben Hayoun , L'exégèse juive, p61-72

[2]– موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تح: حسين أتاي، د.ط (مصر: مكتبة الثقافة الدينية،د.ت)ص45.

التكوين، بينما يخصص مبحث آخر للإشارات الواردة في غير هذا السفر. و لكن قبل كل هذا سندرس صفات الخالق، ومميزات التصور اليهودي له، وهو ما سنقوم به في هذا المبحث الأول.

المبحث الأول: صفـــات الخـــالـــــق

تطلق التوراة على الخالق لفظ "يهوه" أحيانا، ولفظ "إلوهيم" أحيانا أخرى، وهذا الأخير كلمة كنعانية، وهو صيغة الجمع لكلمة "إيلوَّه"، ولكن أكثر الأسماء شيوعا وقداسة هو اسم "يهوه"، وكان لا ينطق به سوى الكاهن الأعظم في يوم الغفران في قدس الأقداس ، أما بقية اليهود فكانوا يستخدمون لفظ "أدوناي" أي "سيدي"[1].

وعن صفات الإله الخالق في التوراة، فإنها وإن كانت تتفق والذات العلية أحيانا، إلا أنها في معظم الأحايين، أقرب إلى صفات البشر بما فيهم من ضعف ونقص، وبما لهم من حركات وأعمال، وبما يجوز عليهم من غفلة ونسيان [2]، حيث أن التوراة لا تقدم لنا مفهوما واحدا للخالق، بل مفاهيم متعددة ومتناقضة.

ويذكر "عبد الوهاب المسيري " بهذا الخصوص أن اليهودية باعتبارها تركيبا جيولوجيا تراكميا، تنطوي على تناقضات حادة وعلى غموض شديد في بعض المفاهيم، وإذا أخذنا مفهوم الإله كمثال على ذلك، نجد أنه على الرغم من أن اليهودية تصنف كدين "توحيدي"، إلا أننا نجد أن التوراة تتضمن من النصوص ما يتناقض مع هذا التصنيف؛ إذ يفهم منها أنه ثمة آلهة أخرى غير "يهوه". والإله في بعض المقاطع يسمو على المخلوقات والبشر و يتجاوز الطبيعة والتاريخ، ولكنه في البعض الآخر يحل في الطبيعة والتاريخ ويتوحد معهما ويتسم بصفات البشر[3].

[1] - عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ص82

[2] - محمد بيومي مهران ،حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية،ص278

[3] - عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ص10

ويرى أصحاب دائرة المعارف الكتابية أن:« الإعلان الإلهي في العهد القديم كان إعلانا متطورا باطراد ، وأن الفكرة عن الله التي يقدمها لنا هي فكرة متطورة» [1] وفي هذا اعتراف بتعدد مفهوم الإله في التوراة، وإن لم يقولوا بتناقض هذه المفاهيم؛ لأنهم يتأولون النصوص حسب لاهوتهم الخاص.

ومن مظاهر تعدد مفهوم الإله في التوراة أن سفر التكوين يطالعنا بمفهوم غريب كل الغرابة عن بقية أسفار التوراة، ففيه يظهر مفهوم الإله الشمولي الأوحد، ولا يعود هذه المفهوم إلى الظهور إلا في سفر إشعيا ومقاطع متفرقة من أسفار الأنبياء الأخرى [2]. ومما جاء في سفر إشعيا بهذا الخصوص:«أنا الرب وليس آخر. لا أحد سواي...مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه»[3]

وقد بلغ التشبيه في التوراة حدا جعل بعض الدارسين يذهبون إلى أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود [4]. ومن أوصاف هذا الإله أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود من دخان نهارا، وعمود من نار ليلا لينير ويهديهم الطريق ، وهذا ما جعل المؤرخ الأمريكي "جيمس هنري برستد"[5] يذهب إلى أن "يهوه" ليس إلا إلها محليا للبراكين، كان مقره المختار سيناء، ولكن الإسرائيليين تخلوا عن آلهتهم القدامى"إلوهيم"، واتخذوا "يهوه" إلها واحدا لهم.

كما تصوره التوراة في مكان محدد ويمكن الاقتراب منه ، وقد رآه موسى رؤيا العين، في المرة الأولى من قفا وفي الثانية من أمام[6]، كما سمح لموسى وسبعين شيخا من بني إسرائيل أن يروه وجها لوجه على جبل سيناء، فقد جاء في سفر الخروج[7]:«ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بني

---

[1]- نخبة من أشهر أساتذة الكتاب المقدس واللاهوت،دائرة المعارف الكتابية،مادة الله

[2]- فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص246

[3]- إش45:5-7

[4]-ول ديورانت، قصة الحضارة،مج1،ص294

[5]- جيمس هنري برستد، فجر الضمير،ص377

[6]- خر33:18-23

[7]- خر24:9-11

إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة»

ويتجلى ظهور "يهوه" كإنسان عادي(وهو كثير الوقوع في التوراة)، أو كجني ليلي يخاف طلوع الفجر[1] ، أو كعفريت شاهرا سيفه للقتل[2] ، كما ظهر في هيئة الملك الشرقي الجالس على العرش[3].

أما عن عقيدة التوراة فيما يخص التوحيد والتعدد، فإنها وإن تميزت بعبادة إله واحد والإخلاص له من دون بقية الآلهة، إلا أنها لم تنكر وجودها بل استبعدتها فقط من الحياة الدينية للجماعة. ولم تنتقل إلى التوحيد بالمعنى الدقيق حتى في أسفار الأنبياء[4].

ومما يؤيد هذا الرأي العديد من النصوص التوراتية التي تجعل "يهوه" ليس له مثيل بين الآلهة، وهي في هذا لا تتجاوز تغليب إله على غيره من الآلهة، أو ما يسميه بعض الدارسين "تفريدا" وهو دون التوحيد. ومن هذه النصوص:

- «لا مثيل لك بين الآلهة يا رب» مز8:86
- «أي إله عظيم مثل الله» مز13:77
- «ربنا فوق جميع الآلهة» مز5:135
- «الرب أعظم من جميع الآلهة» خر11:18

1- تك32:22-30

2- خر4:24-26

3- إش6:1-5 . استفدت في ذكر هذه الصفات من فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص108

4- المرجع نفسه،ص104

ومن النصوص ما تصور "يهوه" واقفا بين الآلهة يصدر إليهم الأوامر:« الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي: "حتى متى تقضون جورا وترفعون وجوه الأشرار؟...أنا قلت: "إنكم آلهة وبنو العلي كلكم. لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون.»[1]

ويذكر بعض الدارسين[2] أن هذا المقطع رغم غموضه وغموض هوية أولئك الآلهة التي يشير إليهم ليؤكد فكرة مجمع الآلهة التي تظهر في مواضع أخرى من التوراة. ومن ذلك:« لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله؟ إله مهوب جدا في مؤامرة القديسين، ومخوف عند جميع الذين حوله»[3]

و"يهوه" إله عنصري، ويتجلى ذلك في الاعتقاد التوراتي بأن الغرض الإلهي إنما يتركز في شعب واحد، اختير من بين شعوب الأرض جميعا؛ ليكون مستودع عطف "يهوه" الخاص، وأن كل مجرى الطبيعة وتاريخ البشر، إنما يدور بإرادة "يهوه" حول حياة ومصير اليهود.

ويذكر الباحث "إسماعيل راجي الفاروقي "* أن اليهود يرون: « أن هذا التفضيل أمر عرفي تلقائي... هو عقد دخل فيه الإله فهو ملزم إلى الأبد... و هو عهد لا عقد في المعنى القانوني؛ لأنه لا يلزم إلا جانبا واحدا وهو جانب الإله المتعاقد»[4]

نخلص من خلال هذا المبحث إلى أن التوراة تحتوي على مفاهيم متعددة و متناقضة للإله، ومن هذه التناقضات: التنزيه والتشبيه، العالمية والعنصرية، التوحيد والتعدد ... وعلى كل حال سيتضح مفهوم الخالق وصفاته في التوراة أكثر من خلال المباحث الآتية التي ترتبط بالخلق بشكل وثيق.

---

[1] - مز82: 1-6

[2] - فراس السواح،الرحمن والشيطان،ص106

[3] - مز89: 6-7

* - اسماعيل راجي الفاروقي(1921-1986) فلسطيني، وهو من أبرز الباحثين المسلمين في مقارنة الأديان. يمكن مراجعة ترجمته بتوسع في: اسماعيل راجي الفاروقي و لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط 1(الرياض: مكتبة العبيكان،1998)ص13-17

[4] - إسماعيل راجي الفاروقي،أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ط2 (القاهرة: دار التضامن،1988) ص 20.

المبحث الثاني: الخلق من خلال الرواية الكهنوتية في سفر التكوين

قبل ذكر نص هذه الرواية ومحاولة تحليله، من المفيد التطرق لنظرية المصادر التي أخذت الروايتين الكهنوتية و اليهوية منها هذا الاسم.

أشهر أصحاب هذه النظرية هما العالم ان الألمانيان البروتستانتيان، "كارل هينرش جراف" Karl Heinrich Graf (1815 – 1869) و "يوليوس ولهاوزن" Julius Wellhausen (1844–1918)، ويرى أصحاب هذه النظرية أن التوراة تتضمن أربعة مصادر أساسية، هي على الترتيب: المصدر اليهوي، والمصدر الإلوهيمي، والمصدر التثنوي، والمصدر الكهنوتي. وقد حددوا تاريخ كل مصدر من هذه المصادر، فجعلوا المصدر اليهوي في القرن التاسع قبل الميلاد، و الإلوهيمي في القرن الثامن، و التثنوي في القرن السابع ، وأخيرا الكهنوتي في القرن الخامس قبل الميلاد. ولكن هذا التحديد الزمني لم يسلم من المراجعة المستمرة على يد المشتغلين على هذه النظرية[1] .

وينظر إلى المصدر الكهنوتي على أنه من صاغ التوراة، وبالرغم من محاولته التوفيق بين المصادر السابقة، خاصة الإلوهيمي و اليهوي، إلا أنه قام بتغليب رؤيته الخاصة على حساب بقية المصادر[2].

وعن الإصحاحين الأولين اللذين تضمنا روايتا الخلق في سفر التكوين، فقد صنف الإصحاح الأول، والفقرات الثلاثة من الثاني في المصدر الكهنوتي، بينما صنفت بقية الفقرات من الإصحاح الثاني في المصدر اليهوي[3]. وعلى هذا فإن سفر التكوين يتضمن روايتين للخلق، بحيث ترجع كل رواية لمصدر مستقل، وسنقوم في هذا المبحث بدراسة الرواية الأولى التي تنتمي إلى المصدر الكهنوتي.

أولا– نص الرواية

[1]– شريف حامد سالم، المصدر اليهوي في التوراة، ط1(القاهرة: مكتبة مدبولي، 2011)ص13، 14

[2]– محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية،د.ط(القاهرة: دار الثقافة، 1988)ص36، 37

[3]– زالمان شازار ،تاريخ نقد العهد القديم،تر:أحمد هويدي،د.ط (مصر:المجلس الأعلى للثقافة،2000)ص134

فيما يلي ذكر النص الكهنوتي، كما ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين (1: 1-31) و بعض الفقرات من الثاني (2: 1-3):

في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله:« ليكن نور» فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا.

و قال الله:« ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلا بين مياه ومياه» . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد، وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا.

و قال الله:« لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة»، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضا، ومجتمع المياه دعاه بحارا، ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله:« لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه، بزره فيه على الأرض»، وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر فيه بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا.

و قال الله:« لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض»، وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم. وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض. و لتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة، ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا.

و قال الله:« لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر الطير فوق الأرض على وجه جلد السماء». فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل

طائر ذي جناح كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن. وباركها الله قائلا:« أثمري واكثري و املإي المياه في البحار، وليكثر الطير على الأرض». وكان مساء وكان صباح يوما خامسا.

وقال الله:« لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها: بهائم ودبابات ووح وش أرض كأجناسها»، وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها، ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله:« نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض». فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم:« أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض». و قال الله:« إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على كل وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما. و لكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما»، وكان كذلك. و رأى الله أن كل ما عمله فإذا هو حسن جدا، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا.

فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. و فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. و بارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا.

ثانيا- مناقشــة وتحليــــل

من خلال النظر في هذا النص، يلاحظ أن البداية كانت بخلق السما وات والأرض من طرف "إلوهيم אֱלֹהִים" كما جاءت تسميته في النص العبري [1]. والذي ترجم في النسخة العربية بالله، وكلمة

[1]- بولس الفغالي وأنطون عوكر، العهد القديم العبري عبري-عربي، ط1(لبنان :المكتبة البولسية،2007)ص1

"إلوهيم" تعني الآلهة بصيغة الجمع، وقد استخدمت في هذا الموضع كاسم جمع للدلالة على المفرد [1] ، وسنعود لها لاحقا. وعن خلق السما وات والأرض، نجد أن المؤلف لم يتعرض لكيفية خلقهما، لينتقل مباشرة للحالة البدئية للكون، واصفا إياها بأنها «كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة» أي لم يكن سوى الخلاء والظلام، إضافة إلى المياه والتي أشير إليها في النص العبري ب " تهوم תְּהוֹם " و تعني هوة، لجة، هدة[2]، أعماق ، هاوية، قاع البحر[3]، وعلى هذا يضاف عنصر الماء إلى الخلاء والظلام، حيث تصف هذه العناصر حالة اللاتشكل السابقة للخلق، غير أن هناك حركة أولية تتخلل هذا السكون وهو أن «روح الله يرف على وجه المياه»، وأول ما يبدأ به "إلوهيم" عملية الخلق هو إيجاد النور عن طريق الخلق بالكلمة، وبعد استحسانه له ، قام بفصله عن الظلمة، ثم يقوم بتسمية ذلك النور "نهارا"، والظلام "ليلا"، لينتهي بذلك أول أيام الخلق.

وفي اليوم الموالي [4] ، يأمر " إلوهيم" بأن يكون "جلد" في وسط المياه ، ويلاحظ أن معنى الجلد غامض، إلا أن اللفظ العبري "رقيع רָקִיעַ " يعني قبة السماء أو السماء الأولى أو السماء عموما [5] ، مما يوحي بأن الرب خلق السماء ذاتها أو قبتها، وقسم بها المياه التي لم يذكر أي مياه كانت، غير أنه يفترض بأنها مياه المحيط الأزلي[6].

---

[1]- رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص40

[2]- ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، ط3(دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1963)ص584

[3]- العربي بن الشيخ، قصة الخلق-دراسة مقارنة بين اليهودية والإسلام، ماجستير، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،1990-1991.ص57، 58

[4]- تعطي بعض التفاسير لهذه الأيام نفس تتابع أيام الأسبوع المعروفة، حيث تبدأ عملية الخلق بيوم الأحد لتنتهي في يوم السبت.انظر: غطاس يوسف وبطرس ميخائيل، الدر الثمين في شرح سفر التكوين،د.ط(مصر: المطبعة الخديوية،1895)ص42

[5]- ربحي كمال، المعجم الحديث عبري عربي، ط2(بيروت: دار العلم للملايين، 1992)ص457

[6]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص 80 ويمكن مراجعة المعاني المتعددة لكلمة الجلد في التوراة عند: بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص184

ويذكر الباحث"موريس بوكاي"* Maurice Bucaille أن عبارة الجلد الفاصل بين المياه في اليوم الثاني تعني القبة التي تمسك المياه العليا، وهي المياه التي ستمر عبر هذه القبة في رواية الطوفان، لتصب في الأرض[1].

وبالعودة إلى تتابع الرواية نجد أن "إلوهيم" يقوم في اليوم الثالث بخلق الأرض(اليابسة) من المياه السفلية، وما تبقى منها صار بحارا، من دون أي ذكر للمياه العلوية، كما يخلق العشب والشجر.

أما اليوم الرابع فتخلق فيه الشمس والقمر والنجوم، ويخصص اليوم الخامس للطيور و التنانين العظام والكائنات البحرية .

وفي اليوم السادس، يعمل الرب الحيوانات البرية من وحوش وبهائم ودبابات وطيور، ثم يختتم أعماله بقرار أن "يعمل" الإنسان "على صورته كشبهه "، وبالفعل يخلق الإنسان على صورته، وقد استخدم المؤلف الاسم (الإنسان) معرفا للدلالة على الإنسان بشكل عام.

وتنتهي الرواية بأن يكمل الخلق، ويفرغ الرب من عمله في اليوم السابع، الذي يباركه ويقدسه لأنه فيه استراح.

أهم مسألة تثار في هذه الرواية هي: هل كان الخلق من عدم أم لم يكن ؟

ذهب كثير من الدارسين إلى أن الفعل "خلق" أو "بارا בָּרָא " بالعبرية هو الدليل على الخلق من العدم[2] ، وذهب آخرون إلى أن الخلق من العدم لا يمكن استخلاصه من الفعل العبري "بارا" الذي من

*- موريس بوكاي (1920- 1998) طبيب فرنسي، اشتهر بمقارنته للكتب المقدسة مع ما توصل إليه العلم الحديث. استفدنا في ترجمته من موقع http://ar.wikipedia.org /، بتاريخ 2013/01/24

[1]- موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، تر: فوزي شعبان،د.ط(د.ب: المكتبة العلمية،د.ت)ص159.

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص83

مرادفاته :عمل، صنع، شكل، كون... كما هو وارد في إصحاحات أخرى، بل يستخلص من عبارة "في البدء" الواقعة في أول الإصحاح[1].

وعلى النقيض من هؤلاء، يرى فريق آخر أن نظام الخلق المذكور في هذه الرواية، وإن كان يمثل محاولة لنسبة الأشياء جميعا إلى الأعمال الخالقة للرب، إلا أنه يقصر أن يكون خلقا من عدم. فلم يقل بأن الرب خلق الهيولى(خربة وخالية)، ولا الظلام، ولا الغمر، ولهذا فإن هذه الأشياء تعتبر عناصر ما قبل الخليقة[2].

ومن طبيعة الخلق، ننتقل إلى ماهية الخالق، والتي يلاحظ عليها النزعة التشبيهية، وتصوير الخالق بشكل حسي، ومن ذلك أن النص كان يعقب على كل عملية خلق للرب بعبارة «ورأى الله ذلك أنه حسن» التي تكررت ست مرات، والتي يفهم منها وكأن تقييم الرب لما يخلق كان ينتظر انتهاء عملية الخلق نفسها، وأن هذا الاستحسان كان دافعا له على الاستمرار في الخلق، مما يجعل هذا الأخير ذا طبيعة عشوائية تجريبية وليس عملا مرتبطا بإرادة وعلم مطلقين[3].

ومن التشبيه الواضح للخالق، ما جاء في عبارة:« نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا...» ثم يؤكد هذا الشبه بعد ذلك بقوله «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» .

وقد قال بعض علماء اليهود أنه تعبير مجازي استعمل من أجل إعطاء الشعب فكرة مبسطة عن قداسة الذات الإلهية وعلاقة الله بالكون[4]. وأن التوراة تتكلم بلغة البشر حتى تجعل أفعال الله مفهومة[5].

---

[1]- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص135

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص83 .

[3]- المرجع نفسه،ص84، 85

[4]- مغنية بنت مبروك حركات، تأثير الوثنية في العقيدتين اليهودية والمسيحية، ماجستير، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2009-2010.ص178

[5]- Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, p309

وبالمقابل ذهب كثير من الدارسين إلى أن العبارة التوراتية تحمل تشبيها لازما للخالق بالإنسان [1]، وأنه يستحيل تأويلها، ومن هؤلاء "ابن حزم الأندلسي" (ت1064م) الذي يقول : «ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح... لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل»[2].

يختتم مؤلف هذه الرواية بأن الخالق بعد أن "فرغ" من عمله "استراح" من جميع عمله الذي عمل خالقا، و قد استخدم الفعل العبري" ويشبت וַיִּשְׁבֹּת " الذي يعني: استراح، توقف، انقطع عن العمل، انتهى، وقف. والذي يحمل دلالة مادية قاطعة، بل يضفي الدلالة المادية على عملية الخلق نفسها وجميع الأفعال التي ذكرت في هذه الرواية[3].

كما نجد أن المؤلف يؤكد على هذه الاستراحة الإلهية وإن استعمل فعلا آخر بعد ذلك هو "شفت שָׁבַת " والذي يعني استراح، كف عن العمل، أبطل [4]. وفي هذا تأكيد على الدلالة المادية للفعل السابق.

ومما يلاحظ أن التوراة السامرية لا تعترف باليوم السابع، بل ترى أن الله خلق الخلق في ستة أيام . كما جاء فيها أن الله خلق الإنسان بقدرته بصورة الملائكة خلقه [5]، وهي تخالف في هذا التوراة العبرانية التي جاء فيها: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه...» كما ورد سابقا.

[1]- و لخطورة تلك الفقرات السابقة نلاحظ أن "موسى بن ميمون" يعقد أول فصل في كتابه "دلالة الحائرين" لحل هذه المعضلة محاولا نفي التجسيم عن الإله في تلك الفقرات. موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص22 ويذكر أحد المتكلمين تعليقا على تأويلات "ابن ميمون" للتوراة أن هذا الأخير يسترسل في تأويل النصوص، بما يخضعها لفلسفته، سعيا وراء انتشال طائفته من مناقضة الحقائق، ويذكر أن الإبعاد في التأويل بما لا تقره لغة التخاطب لا يكون إلا محض هذيان. موسى بن ميمون، المقدمات الخمس والعشرون،تصحيح وتقديم: محمد زاهد الكوثري، د.ط (مصر: المكتبة الأزهرية،1993)ص22

[2]- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل،تح:عادل بن سعد،ط1(القاهرة: دار ابن الهيثم،2005)ج1،ص119

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص83، 84

[4]- م.ضباعي، قاموس الأفعال العبرية عبري-عربي، د.ط(بيروت: مكتبة لبنان، 1975)ص66

[5]- أبو الحسن إسحاق الصوري، التوراة السامرية، تق: أحمد حجازي السقا،ط1(القاهرة:دار الأنصار،1978)ص36

و قد حاول "سعديا الفيومي"* أن يتلافى الدلالة التشبيهية للفعلين السابقين فترجمهما كالآتي: « وعطل فيه أن يخلق شيئا من مثل خلقه وبارك الله اليوم السابع وقدسه إذ عطل فيه أن يخلق شيئا من مثل خلقه» [1] والمعروف عن "الفيومي" تأثره الكبير بعلم الكلام الإسلامي، ومدرسة المعتزلة على الخصوص[2]. وهو الأمر الذي ترك أثره في هذه الترجمة.

ويلاحظ أن لفظ "إلوهيم" وهو الاسم الذي أطلق على الخالق في هذه الرواية، يحمل في طياته التعددية في طبيعة الألوهية، وفي هذا تقول الموسوعة الدينية اليهودية «إلوهيم تعني الآلهة بصيغة الجمع، ولعلها التسمية التي أطلقها التعدديون الذين اعتبروا أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلها واحدا...»[3]

وهذا ما تأكده موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، حيث جاء فيها: « إلوهيم كلمة من أصل كنعاني. وهي حسب التصور اليهودي أحد أسماء الإله. وهي صيغة الجمع من كلمة "إيلوّه" أو "إله" أو "إيل"، وهو ما يدل على أن العبرانيين كانوا في مراحل تطوُّرهم الأولى يؤمنون بالتعددية ... ويُعامَل الاسم أحياناً باعتباره صيغة جمع وأحياناً أخرى باعتباره صيغة مفرد، ولذا فهو يتبع أحياناً بفعل في صيغة الجمع وفي أحيان أخرى يُتبَع بفعل في صيغة المفرد»[4].

ويرى بعض الدارسين أن في هذه الرواية إشارات غير مباشرة إلى أن الإله لم يكن واحدا، وإنما كان هناك مجلس إلهي يرأسه "إلوهيم"، ومن ذلك عندما اتخذ قراره بخلق الإنسان، أعلنه في صيغة الجمع بأسلوب يوحي بأنه استشار المجلس الإلهي قبل إعلانه القرار «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»، ولم

*- سعديا بن يوسف الفيومي (882-942م) يهودي مصري، من مؤلفاته "الأمانات والاعتقادات" ألفه بالعربية، ويبدو فيه شديد التأثر بالمعتزلة، وهو ينحو نحوهم في تفسيره للتوراة. انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص132

[1]- ادريس اعبيزة، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها لسعديا الفيومي، ط1(الرباط: دار الأمان،2010)ص238

[2]- عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص132 وأيضا:

Maurice-Ruben Hayoun , L'exégèse juive,p28-35

[3]- رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،ص40

[4]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ص87

يستخدم صيغة الجمع دلالة على التفخيم والتعظيم؛ لأنه حينما تحدث الرب إلى الكائنات بعد ذلك جرى كلامه بصيغة المفرد، فاستخدام الجمع ارتبط بلحظة إعلان قرار خلق الإنسان[1].

ومن الإشارات الأخرى الواردة في التوراة عن هذا المجلس الإلهي ، نذكر الآتي:

– «هلم ننزل ونبلبل لسانهم» (تك7:11)

– «هل تنصت في مجلس الله أو قصرت الحكمة على نفسك» (أي8:15)

– «الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي» (مز1:82)

و علاوة على ما سبق، يلاحظ بعض الأخطاء في هذه الرواية، منها:

– تذكر الرواية وجود المساء والصباح مع أن الأرض والشمس لم تخلقا بعد!

– الشمس والقمر خلقا بعد الأرض والنبات، وهذا يناقض العلم، بل إن الشمس سبقت باقي أجرام المجموعة في التكون بقليل، ومن دون نور الشمس لا يمكن لأي نبات أن ينمو![2]

– القول بالاستقرار الفيزيائي بعد الخلق، أي أن الصورة التي خلق الرب عليها الكون هي التي نعرفها اليوم، ولكن الحقيقة أن الكون شهد تطورات حادة وتغيرات جذرية منذ لحظته الأولى[3].

– يحدد التقويم العبري المنسجم مع التوراة تاريخ الكون بدقة، حيث يطابق ميلاد المسيح مثلا سنة 4004 من خلق الكون! [4]. كما أن الإنسان الذي تأخر خلقه بضعة أيام يملك القدم ذاته للكون! [5]

---

[1]– كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص 87. تذكر بعض التفاسير المسيحية أن في صيغة الجمع هذه دلالة على الثالوث المقدس.انظر مثلا: تادرس يعقوب ملطي، سفر التكوين، ط1(القاهرة: الأنبا رويس، 1983)ص33

[2]– جمال ميموني ونضال قسوم، قصة الكون، ط1(الجزائر : دارالمعرفة، 2006)ص55

[3]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

[4]– مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين(بيروت:؟،1869)ص576

[5]– موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد،ط3(بيروت: المكتب الإسلامي،1990)ص51

ورغم أن بعض المفسرين رأوا أن لفظ يوم لا يعني اليوم الذي نعرفه[1]، خاصة بعد أن تبين أن عمر الكون أقدم بكثير مما تقدمه التوراة، إلا أنهم في هذا يخ الفون لفظ التوراة (وكان مساء وكان صباح يوما...) الذي يتطابق مع طبيعة أيامنا التي نعرفها (أي 24 ساعة).

[1]- تادرس يعقوب ملطي، سفر التكوين،ص31

و حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس،د.ط (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت)ص73

المبحث الثالث: الخلق حسب الرواية اليهوية في سفر التكوين

في هذا المبحث سنتطرق للرواية اليهوية الواردة في الإصحاح الثاني من سفر التكوين، والفقرات من 4 إلى 25، بحيث سنقوم بإيراد نص الرواية أولا، ثم نقوم بمحاولة مناقشتها وتحليلها ثانيا، كما فعلنا مع الرواية الكهنوتية في المبحث الثاني.

أولا– نص الروايـــة

هذه مبادئ السماوات الأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات. كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان إنسان ليعمل على الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض. و جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية. وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله. و أنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر. وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس: اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش. واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي أشور، والنهر الرابع الفرات .

وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلا :«من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. و أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت». و قال الرب الإله:«ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظيره». و جبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. و أما لنفسه فلم يجد معينا نظيره. فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. و بنى الرب الإله الضلع التي أخ ذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم:« هذه

الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت». لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. وكان كلاهما عريانين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان.

ثانيا- مناقشة وتحليل

ما يلاحظ على هذا النص، هو القصر النسبي في معالجة رواية الخلق، ما يدعو إلى الشك في تطابق النص اليهوي القديم مع هذا النص الحالي، خاصة بعدما تم المزج بين الروايتين بعد الأسر البابلي عام 538ق.م، فيما يرى البعض[1]، عندما قام كهنة اليهود بصياغة موحدة لأسفار التوراة.

وقد استهل هذا النص الذي سمي الخالق فيه باسم "يهوه יְהוָה " بعرض الحالة البدئية للكون، حيث يمكن وصفها بالقفر والخراب. و أول أعمال الرب هو خلق الإنسان من تراب الأرض، ثم ينفخ في أنفه "نسمة الحياة"؛ ليصير "نفسا حية"، ثم يقوم "يهوه" بغرس جنة في المكان المسمى "عدن"، باتجاه الشرق، حيث يضع فيها أول مخلوقاته، ثم ينبت من الأرض جميع أنواع الأشجار الشهية للنظر والجيدة للأكل، مع التركيز على شجرتين : "شجرة الحياة" و"شجرة معرفة الخير والشر" و يذكر النص بعد ذلك أنه كان هناك نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، كما ذكر روافد هذا النهر بأسمائها ومناطق جريانها، في حين لم يذكر متى خلق ومن قام بخلقه.

وللمرة الثانية يذكر بأن الرب أخ ذ الإنسان ووضعه في جنة عدن، مما يوحي باضطراب الرواية، كما يبرر وضعه في هذا المكان لعمله فيه وحفظه له، ثم ينقطع تسلسل الأحداث بوصية الرب للإنسان وتحذيره من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر؛ لأنه يوم يأكل منها موتا يموت.

---

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص143

وقد استثنى الرب شجرة "معرفة الخير والشر" فقط، ولم يستثن شجرة "الحياة"، و معنى ذلك أن الإنسان إذا أكل من شجرة"الحياة"، وهو ما يتوقع حدوثه، فإنه سيكتسب الخلود، فكيف سيميته الرب عقابا له على أكله من شجرة معرفة الخير والشر ؟![1]. هذا بالإضافة إلى أن آدم قد أكل من الشجرة المنهي عنها، كما جاء في باقي الرواية، ولم يمت كما توعده الرب!

و بعد هذه الوصية يواصل الرب عملية الخلق، حيث يرى أن يصنع نظيرا معينا للإنسان، و من أجل ذلك يخلق له الحيوانات والطيور، ثم يحضرها له ليرى ماذا يدعوها ، وعلى هذا تكتسب جميع هذه المخلوقات تسمياتها من آدم.

ولكن آدم لم يستأنس بالحيوانات و الطيور التي خلقها الرب لذلك ، فيقرر الرب أن يخلق له من جسده نظيرا معينا آخر هو المرأة، ويحدد النص مادة خلقها وهو ضلع الرجل.

ويختتم النص بوصف حالة الزوج البشري بأنهما كانا عريانين وهما لا يخجلان.

يتميز هذا النص عن سابقه أنه لم يتعرض لذكر بعض العناصر الطبيعية في الكون كالشمس والقمر والنجوم، ولا لفصل السماء عن الأرض، كما لم يتعرض لذكر بعض الكائنات كالتنانين والزواحف التي فصل النص الكهنوتي في ذكر عملية خلقها.

ويلاحظ في هذا النص أن المؤلف استخدم الفعل "ييتصر יִּיצֶר " بدلا من الفعل "بارا בָּרָא " للدلالة على الخلق، والذي من معانيه –وبخاصة إذا شدد- أنتج، صنع كما أن بعض اشتقاقاته تعطي معنى غريزة أو شهوة. وهي دلالة مادية حسية لا تقبل الجدل، إضافة إلى باقي الأفعال المستخدمة والتي تبدو أفعالا مادية حركية يختص بها البشر أو المخلوقات، دون الرب[2].

---

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص91

[2]- المرجع نفسه،ص92

كما يظهر **"يهوه"** في عملية الخلق وكأنه في حالة تجريب عشوائي، فقد قرر أن يخلق معينا نظيرا للإنسان، فخلق لأجل ذلك الحيوانات والطيور، لكنها لم تحقق الهدف المنشود؛ لذا يلجأ إلى خلق المرأة لتحقيق مراده.

أما بالنسبة لموقع "جنة عدن" فلم يستقر اللاهوتيون علي موقع معين [1]: فالبعض يظن أنها كانت في *أرمينيا* لأن الفرات ودجلة ينبعان مرها، أما الرأي السائد فهو أن نهر عدن الذي تفرع إلى أربعة رؤوس ما هو إلا نهر الفرات الذي يصب في شط العرب، منقسمًا إلى عدة فروع، فجنة عدن في رأيهم هي *القسم الجنوبي من العراق*، حيث الخصب .

ويرى آخرون أن المكان الأقرب إلى الصواب هو *شرق فلسطين*. ويرى المؤرخ اليهودي "يوسيفوس فلافيوس" وآخرون بأن النيل هو جيحون في أرض كوش التي هي *الحبشة* جغرافيا وهو أعظم الأنهار، إلا أن بعض العلماء يرون أن نسل كوش استقر في المنطقة البابلية.

وجميع هذه الآراء، كما هو واضح، ترى أن لجنة عدن موقعا جغرافيا أرضيا محددا، ولم تكن سماوية أو غيبية.

وبمقارنة النص اليهوي مع النص الكهنوتي، يتبين وجود اختلافات كثيرة بين النصين منها[2]:

- يستخدم النص الأول(الكهنوتي) اسم **"إلوهيم"** للدلالة على الخالق، بينما يستخدم النص الثاني اسم **"يهوه"**.

---

[1]- صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، ط2 (القاهرة: دار الثقافة،2005)ص85، 86

وتادرس يعقوب ملطي، سفر التكوين،ص48

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص97-99

وكارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص143، 144

- الحالة البدئية للكون في النص الأول هي حالة عماء مائي، أما في النص الثاني فتتمثل في القفر والجفاف(ثم الضباب في مرحلة لاحقة) ، ويرى البعض أن النص الأول يعكس بيئة بحرية أو نهرية، أما النص الثاني فيعكس بيئة صحراوية.

- مادة الخلق في النص الأول الماء، أما مادة الخلق في النص الثاني فتراب الأرض.

- قسم النص الأول عملية الخلق إلى ست مراحل، وفق تقسيم زمني يومي، أما النص الثاني فجعلها في مراحل دون تحديد زمني.

وقد كان تسلسل الخلق في النص الأول، كالآتي[1]:

1- اليوم الأول:النور وفصله عن الظلمة.

2- اليوم الثاني: السماء ورفعها.

3- اليوم الثالث: اليابسة والعشب والشجر.

4- اليوم الرابع: الشمس والقمر والنجوم.

5- اليوم الخامس:المخلوقات البحرية والطيور.

6- اليوم السادس:الحيوانات البرية ثم الإنسان.

7- اليوم السابع : استراح الرب.

أما النص الثاني، فتسلسل الخلق كان فيه وفق المراحل الآتية:

1- الأرض والسموات.

[1]- ملاك محارب، دليل العهد القديم، ص167

2- الإنسان رجلا فقط.

3- الجنة التي أنبت فيها الأشجار.

4- الحيوانات البرية والطيور(لا ذكر للمخلوقات البحرية).

5- المرأة

- خلق الإنسان في النص الأول الذكر والأنثى دفعة واحدة، وفي النص الثاني خلق الرجل أولا، وبعد مراحل عدة خلقت المرأة.

و يرى البعض أن مفهوم الإله في النص الثاني يتبدى في صورة من التجسيد الساذج للإله في صورة بشرية، أما النص الأول فالرب فيه كائن له اعتبار رفيع يفوق العقل وكلمته تكفي لتحقيق إرادته ، ولكن لا يمكن التسليم بهذا بإطلاق، حيث كان يهبط أسلوب النص الأول أحيانا إلى مستوى التشبيه والتجسيم الفاضح كما رأينا ذلك سابقا.

المبحث الرابع: الخـلــق في الأسفــار الأخــرى

ذكر في مقدمة هذا الفصل أن أسطورة الخلق في التوراة احتويت في الإصحاحين الأولين لسفر التكوين، واللذين حاول المبحث الثاني والثالث دراستهما، أما هذا المبحث فسيتطرق إلى بعض الإشارات إلى انتصار الرب على بعض الوحوش؛ حيث يعتقد أن هناك ارتباطا بين تلك المعركة وخلق العالم، و أن عملية الخلق تعقب تغلب الرب وانتصاره ، خاصة إذا درست تلك النصوص من خلال السياق العام للنص.

وقد سميت هذه الوحوش أو التنانين بمجموعة من الأسماء، أشهرها : "لوياثان" و "رهب" و"بهيموث".

وتعتبر أسطورة التنين من الأساطير الشائعة، و التنين بشكل عام يشتمل على جسم حية ومخالب أسد ورأس تمساح، وجسمه مغطى بالحراشف، كما له أجنحة ويبصق نارا. وهو رمز للشر، ويرتبط بوجه عام بالآلهة، كما أنه يرتبط بالمياه، وأحيانا يرتبط بالأماكن الصحراوية والخرائب. ويذكر بعض الدارسين أن أول عهد للإنسان بهذه الأسطورة وجد على ختم أسطواني في بلاد النهرين، يرجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، يصور أبطالا يقضون على وحش ذي سبعة رؤوس، وأن هذه المعركة كانت راسخة الدعائم في كنعان، وقد هضمها العبرانيون منذ بداية تاريخهم الأول في كنعان[1].

و أهم الإشارات المتعلقة بهذه المعركة أو الصراع في التوراة هي الإشارات الواردة في الأسفار الآتية[2]:

سفر أيوب 26:12-13 /40:15-24 /40:25 / 41:26

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص102

و فيليب سيرنج، الرموز في الفن -الأديان- الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط1(دمشق: دار دمشق،1992)ص151، 152

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص103

سفر المزامير 74:13-14 / 89:10-11

سفر إشعيا 27:1 / 51:9-10

و سنحاول فيمايلي أن نتعرض لبعض هذه الإشارات بالتفصيل، وذلك من خلال تخصيص عنوان مستقل لكل سفر من الأسفار المذكورة أعلاه.

أولا- في سفر أيـــــوب

يتحدث هذا السفر عموما عن قبول الرب امتحان عبده "أيوب" بعد شكوى الشيطان عليه [1]، وهو قصة تعالج مشكلة الألم في الحياة[2].

وسنقتصر على ذكر موضع واحد من هذا السفر بخصوص صراع الرب، وهو الموضع الآتي:

- أيوب 40:15-24

«هو ذا بهيموث الذي صنعته معك يأكل العشب مثل البقر. ها هي قوته في متنيه، وشدته في عضل بطنه. يخفض ذنبه كأرزة. عروق فخديه مضفورة. عظامه أنابيب نحاس، جرمها حديد ممطول. هو أول أعمال الله. الذي صنعه أعطاه سيفه. لأن الجبال تخرج له مرعى، وجميع وحوش البر تلعب هناك. تحت السدرات يضطجع في ستر القصب و الغمقة. تظلله السدرات بظلها، يحيط به صفصاف السواقي. هو ذا النهر يفيض فلا يفر هو، يطمئن ولو اندفق الأردن في فمه. هل يؤخذ من أمامه؟ هل يثقب أنفه بخزامة؟»

[1]- صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم،ص211

[2]- حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس،ص149

في هذا النص وصف لأحد أنواع التنانين، والذي سمي "بهيموث"، ويورد صاحب "قاموس أساطير العالم" نصا من سفر "أنوش" وهو أحد الأسفار غير القانونية، ما يفيد أن هذا النوع من التنانين يغلب عليه الطابع الصحراوي، عكس الأنثى "لوياثان" التي تسكن عند الينابيع[1] .

و يمكن اعتبار هذا النص من سفر "أيوب" مكملا لقصة الصراع الواردة في الإصحاح(26:12-13): «*بقوته يزعج البحر، وبفهمه يسحق رهب. بنفخته السموات مسفرة ويداه أبدأتا الحية الهاربة*» وتكميلا أيضا للإشارات الأخرى في ثنايا هذا السفر عن الصراع، وتظهر علاقته بالخلق من خلال الإشارات التي وردت في سياق السفر عن الخلق وعن قدرة الرب.

ويرى "كارم محمود عزيز"* أن الفقرة «هو أعمال الله» يمكن أن تكون ترجمة خاطئة، وذلك استنادا للأصل العبري ، كما أنه إذا ترجمت بمعنى «أول سبل الله» أي أن قتل التنين هو أول السبل التي اجتازها الرب ليخلق العالم، فهذا الذي ينسجم مع أساطير الخلق الواردة في التوراة، وكذا أساطير الخلق في الشرق الأدنى القديم عموما، عكس إذا ما كان المقصود أن التنين هو أول أعمال الخليقة، والذي سيناقض جميع الأساطير السابقة[2].

ثانيا- في سفر المزاميـــــر

يعتبر هذا السفر، عموما، قصائد شعرية، كتبت لتكون تسبيحات يترنم بها الإنسان ويتعبد بها[3].

وسنتعرض في هذا السفر للموضعين الآتيين :

1- المزمور 74:13-14

---

[1]- آرثر كورتل ،قاموس أساطير العالم،ص49

*- كارم محمود عزيز مصري، ولد عام 1955 ، متخصص في اللغة العبرية، له بعض الأبحاث حول التوراة و الأساطير القديمة. استفدنا في ترجمته من الموقع الآتي: http://www.albabtainprize.org/Encyclopedia/poet/1316.htm بتاريخ 2013/02/04

[2]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص109، 110

[3]- صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم،ص221

«أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه. أنت رضضت رؤوس لوياثان، جعلته طعاما للشعب، لأهل البرية»

يقدم هذا النص وصفا إجماليا لانتصار الرب على **"**لوياثان**"** والتنانين التي يظهر علاقتها الوطيدة بالمياه، و"لوياثان" كلمة عبرية معناها الملتف أو الملتوي[1].

أما عن علاقة النص بالخلق فتبرز في الفقرات التي تلي هذا النص مباشرة، حيث يتحدث المؤلف عن صنائع الرب، وخلقه لبعض عناصر الكون: *«أنت فجرت عينا وسيلا، أنت يبست أنهارا دائمة الجريان . لك النهار ولك أيضا الليل. أنت هيأت النور والشمس . أنت نصبت كل تخوم الأرض. الصيف والشتاء أنت خلقتهما»*

أما الموضع الثاني فهو كالآتي:

2- المزمور 89:9-10

« أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لجحه أنت تسكنها. أنت سحقت رهب مثل القتيل، بذراع قوتك بددت أعداءك»

في هذا النص يواصل المؤلف ترنيماته بإحياء ذكرى انتصار الرب على التنين المسمى **"**رهب**"** وعلى أعدائه جميعا، وعلى المياه أيضا، ثم يتبع ذلك بترنيمة عن الخلق، يصف فيها خلق عناصر أخرى غير التي ذكرت سابقا.

«لك السموات ، لك أيضا الأرض، المسكونة وملؤها أنت أسسته م ا، الشمال والجنوب أنت خلقتهما»

[1] - إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، ط؟(القاهرة: مكتبة مدبولي،1995)ص316

ويرى البعض أن لفظ **"**رهب**"** مواز للتنين، ويدل على مخلوق ذي جسم طولي، كما يستعمل للأفعى والتمساح وكذلك لبعض وحوش البحر مثل الحوت و القرش[1].

ويلاحظ على سفر المزامير أنه يتميز بتصويره الرب نفسه، كوحش يشبه التنين، ومن ذلك :

– «فارتجت الأرض وارتعشت، أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخان من أنفه، ونار من فمه أكلت، جمر اشتعلت منه»[2]

– «تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار» [3]

ثالثا– في سفر إشعيـــا

هذا السفر عبارة عن إعلانات و تنبؤات بقضاء الرب "يهوه" على شعبه "إسرائيل" و "يهوذا" لارتدادهم عره، كما يحتوي على إعلانات ضد تعدي الشعوب الأخرى[4].

ومن أهم المواضع الواردة في هذا السفر، الخاصة بموضوعنا، الموضع الآتي:

– إشعيا 51:9

«استيقظي استيقظي! البسي قوة يا ذراع الرب! استيقظي كما في أيام القدم، كما في الأدوار القديمة، ألست أنت القاطعة رهب، الطاعنة التنين؟ ألست أنت المنشفة البحر، مياه الغمر العظيم، الجاعلة أعماق البحر طريقا لعبور المفديين؟»

جاء هذا النص في سياق سلسلة من الترنيمات التي يمتلأ بها هذا السفر، وهو يحيي ذكرى الصراع بين الرب والتنين عند **بدء العالم**، ترنما بعظمة الرب ومجده[1].

---

[1]– ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص148

[2]– مز18:7-8

[3]– مز21:9

[4]– صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم،ص247

ويؤيد هذا الرأي استعماله عبارة «في أيام القدم، كما في الأدوار القديمة»، كما وردت في سياق السفر بعض الألفاظ التي تشير إلى بدء العالم، منها: "مرذ البدء"[2]، "مرذ القديم"[3]، "الأوليات"[4]، "مرذ الأزل"[5]. بالإضافة إلى إشارات صريحة إلى خلق العالم على يد الرب، كما وردت إشارات أخرى إلى قهر الرب لقوى المياه، وكذلك وصف لجبروت "يهوه" كمصارع.

وعلى العموم، يلاحظ مما سبق أن الخالق في مصارعته للتنانين و الوحوش يتخلى عن الشمولية والإطلاق التي ظهر بها في مواضع أخرى ؛ بحيث تظهر هذه الوحوش كأنداد له، لا كأحد مخلوقاته.

ويرى كثير من اللاهوتيين أن أسماء الوحوش المستعملة في صراع يهوه مثل "رهب" و"لوياثان" وأمثالهما ليست سوى مجازات أطلقت على أمم قوية معادية ليهوه وشعبه، ومن ذلك أن رهب ولوياثان و التنانين —حسبهم– تمثل صياغات رمزية لمصر و المصريين، وأن الحية الهاربة والحية المتحوية استعارات تدل على أشور(الواقعة على نهر دجلة الملتوي) و بابل (الواقعة على الفرات المتمعج) على التوالي[6].

وقد انقسم الباحثون بخصوص زمن هذا الصراع، فرأى بعضهم أنه كان قبل خلق العالم، ومن براهينهم أن أفعال الخلق في بعض الفقرات مذكورة مباشرة بعد إحراز الرب انتصاره في المعركة ، هذا بالإضافة إلى بعض العبارات التي تدل أن الصراع كان منذ الأزل و مرذ البدء و أول أعمال الله...، بينما رأى آخرون[7] أن هذا الصراع لم يكن قبل الخلق بل كان بعده.

1- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص105

2- 10:46

3- 10:46

4- 18:43

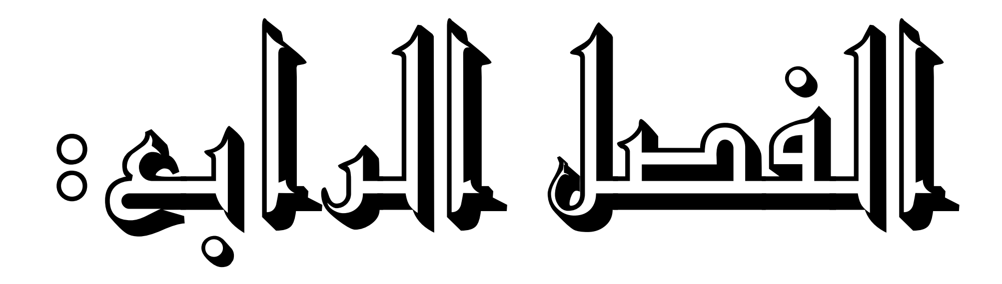
5- 4:64

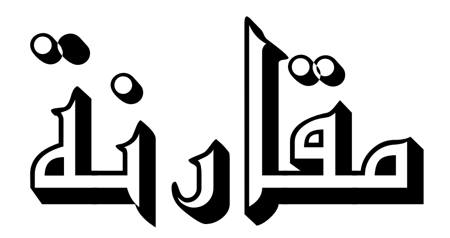
6- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص153-155

7- المرجع نفسه، ص158-160

وكخلاصة لهذا الفصل، نجد أن التوراة تحتوي على قصتين متمايزتين للخلق، تنسب الأولى للمصدر الكهنوتي وسمي الخالق فيها "إلوهيم"، أما الثانية فتنسب للمصدر لليهوي وسمي الخالق فيها "يهوه". ورغم أن البعض يرى أن الطابع التجسيدي أظهر في الرواية الثانية منه في الأولى، وأن الخلق في الأولى قد كان من عدم، وأنه كان عن طريق الكلمة المعبرة عن الإرادة الإلهية... إلا أننا نجد أن أسلوب هذه الرواية يهبط أحيانا إلى مستوى التشبيه والتجسيم الفاضح، ومن ذلك ما ورد فيها من أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه، و أن الخالق استراح بعد أن أتم خلقه...

وبالإضافتين إلى القصتين السابقتين عن الخلق، اللتين احتواهما الإصحاحان الأولان من سفر التكوين، وجدت إشارات في إصحاحات أخرى إلى انتصار الرب على بعض الوحوش الرهيبة ، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن هناك ارتباطا بين تلك المعركة وخلق العالم، و أن عملية الخلق تعقب تغلب الرب وانتصاره، خاصة إذا درست تلك النصوص من خلال سياق العام للنص ، بينما ذهب آخرون إلى أن تلك المعركة كانت بعد الخلق، ولم تكن قبله. وذهب بعضهم إلى أن أسماء تلك الوحوش ما هي إلا مجازات أطلقت على أمم قوية معادية ليهوه وشعبه، وأنها ليست وحوشا حقيقية.


الفصل الرابع:


مقارنة

سنحاول في هذا الفصل تبيان أوجه التشابه و التخالف بين اليهودية و ديانات الشرق الأدنى القديم، وفق ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول لم قارنة ا لصفات التي وصف بها الإله الخالق في النصوص التوراتية و نصوص الشرق الأدنى القديم، وخصص المبحث الثاني لخلق العا لم عموما، بينما جعل المبحث الثالث لخلق الإنسان، الذي تميز خلقه عن سائر المخلوقات. و رغم محاولتنا ذكر الكثير من أوجه التشابه و الاختلاف إلا أننا لا نزعم أننا سنأتي على رصدها جميعا.

المبحث الأول: صفـــات الخـــالـــــــق

أولا- أوجـه التشـابــه

1- الديانـة الرافدينيـة

تتفق الأساطير الرافدينية في الطبيعة التشبيهية للآلهة،عموما، مع النصوص التشبيهية للإله في التوراة، خاصة في المصدر اليهوي، حيث يتبدى مثل البشر في الكثير من صفاته، وهذه الخاصية تعم معظم ديانات الشرق الأدنى القديم.

تتماثل شمولية الإله "مردوخ" التي أبرزتها أسطورة الإينوماإيليش البابلية، حيث يظهر "مردوخ" رغم بقية الآلهة إلها أوحد مطلقا، مع النصوص التوراتية التي تذكر أن "يهوه" أعظم من جميع الآلهة، وأنه لا مثيل له بينهم...

يتشابه الطرفان الرافديني واليهودي في فكرة المجمع الإلهي، الذي يحكمه إله أعلى، وإن كنا لا نجد وضوح هذه الفكرة في التوراة كما نجدها في الروايات الرافدينية.

حسب بعض الدارسين فإن صراع الخالق مع التنين في التوراة كان قبل عملية الخلق، وهو ما يماثل صراع الإله مردوخ لتيامت ، ثم خلقه للكون بعد ذلك. ويمكن ملاحظة تشابه آخر في هذا الصراع بين

ذكر أتباع "تيامت" في الرواية البابلية وأتباع "رهب" في التوراة، كما أنه في كلا الروايتين يعاقب الزعيمان (رهب و تيامت) أكثر مما يعاقب به الأتباع[1].

وعن الصراع في غير الإينوماإيليش يمكن ملاحظة تشابه ات في صفات التنين بين الطرفين، ومن ذلك الشكل الأفعواني و الارتباط بالمياه، كما يلاحظ تشابه في أن قتل الإله للتنين كان إراحة للشعب (الشعب الرافديني أو اليهودي) من شرور التنين وتعديياته .

2- الديانـة المصريــة

بالنسبة للديانة المصريةِ فإن أكثر التشابهات مع الديانة اليهودية تبرز في ديانة آتون [2]، ومن التشابهات بين الطرفين الإصرار على القول بوحدانية الإله، حيث أن **"أخناتون"** أعلن الحرب على جميع الآلهة السابقة، واعتبر "آتون" إلها لكل الأمم، غمر بنعمته سائر البشر في كل مكان من العالم. و لكن اليهودية وإن اعتبرته إلها عالميا في بعض أسفارها، إلا أنها قصرت ألوهيته على اليهود في أسفار أخرى.

ومن التشابهات أيضا بين الديانتين أن الإله لا يصور ولا تقام له منحوتات أو تماثيل، وقد حطم "أخناتون" كل التماثيل ومسح عن جدران المعابد كل صور الآلهة القديمة، كما أن "آتون" لم يتخذ صورة إنسانية أو حيوانية كغيره من الآلهة المصرية لأنه غير قابل للتصوير البشري، ومن النصوص الواردة في ذلك[3]:

«الواحد الذي أنشأ نفسه بنفسه

---

[1]- استقينا التشابه الأخير من ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص157

[2]- جعل "سيغموند فرويد" (ت1939) آتون إلها لموسى كما جعل موسى مصري الأصل وليس عبرانيا .يمكن مراجعة ذلك في: سيغموند فرويد،موسى والتوحيد ،تر: جورج الطرابيشي،ط6(بيروت :دار الطليعة،2009)ص23 و مابعدها.

[3]- يان أسمان، موسى المصري حل لغز آثار الذاكرة،ص416

لا يعرفه النحاتون»

ومما يشابه هذا في التوراة[1]:« لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض »

ومن التشابهات بين النصوص الآتونية والنصوص التوراتية، التشابه الحاصل بين صلاة "أخناتون" في تسبيح خالقه الذي يرمز له بقرص الشمس، و المزمور 104 في التوراة، وسنقتطف فيما يلي جزء من النصين[2].

فقد جاء في النص الآتوني [3]:« تصبح الأرض في ظلام دامس... وتخرج جميع الأسود من مغاورهم، وتقوم كل الثعابين باللدغ... يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم ... ويذهب كل البلد إلى العمل. ما أكثر أعمالك المخفية عن الأنظار! ما أحكم خططك يا رب الزمن!...»

وبالمقابل نجد في التوراة[4]:« تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر. الأشبال تزمجر لتخطف، ولتلتمس من الله طعامها. تشرق الشمس فتجتمع، وفي مآويها تربض. الإنسان يخرج إلى عمله، وإلى شغله إلى المساء. ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت.»

وبعيدا عن الديانة الآتونية، تتشابه اليهودية مع اللاهوت المصري الذي يرى أن الإله الخالق يرعى المصريين دون غيرهم، أو فئة منهم فقط، وأن لباقي الأقوام آلهتهم الخاصة، حيث أن بعض فقرات التوراة أيضا تقصر ألوهية "يهوه" على اليهود فقط، كما هو واضح في عقيدة شعب الله المختار. وهذا الأمر كان شائعا في معظم ديانات الشرق الأدنى القديم.

---

[1]- تث8:5

[2]-يمكن مراجعة النص الآتوني كاملا عند: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل"الحضارة والتوراة والتلمود"،ص305، وتتابع السرد المتشابه عند فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص133-135

[3]- يان أسمان، موسى المصري حل لغز آثار الذاكرة،ص 419-421

[4]- مز104:20-24

ومن التشابهات أيضا ما ورد في مواضع كثيرة من التوراة [1] تتحدث عن "يهوه المجنح"، حيث يبرز هذا الأخير كطائر بأجنحة ضخمة، ومثل هذه التصورات تكمن في إله السماء المصري "حورس" الذي وصف بالقرص المجنح، حيث انتشرت عبادته في مصر كلها[2].

يتشابه الخالق في اليهودية مع "أمون" الخالق المصري في أن كليهما لا أب له ولا أم. كما يتشابهان أيضا في الطبيعة التفريدية لكلهيما. كما نلمح هذه الطبيعة التفريدية كذلك في الخالق "بتاح" الذي كان روحا للمياه البدئية قبل الخلق، وهو في هذا يتشابه مع روح "إلوهيم" التي كانت ترف على مثل هذه المياه قبل الخلق.

ويذكر بعض علماء المصريات أن الحكماء العبرانيين اقتفوا أثر الفكر المصري القديم. ومن ذلك ما جاء في سفر الأمثال: « و الرب وازن القلوب »[3]، إذ لم يكن في الشرق القديم إلا عقيدة واحدة تقول بأن الإله يزن القلب الإنساني، وهي الديانة المصرية القديمة بما تشمل عليه من المحاكمة الأوزيرية[4].

تتشابه روايات الطرفين في صفات التنين و المعركة التي يخوضها الإله معه في بعض المناحي، كما تتشابه بعض الروايات في أن القضاء على التنين ارتبط بالخلق، وفي أخرى ارتبط براحة الشعب(المصري أو اليهودي)من تعديات التنين وشروره.

3- الديانـة الكنعـانيـة

---

[1]- تث32:11-12 . خر19:4 . مز 1:57/8:17...

[2]- محمد العلامي، أثر مصر القديمة في فلسطين نشأة الكون التوراتية، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، غزة، 2008 المجلد10،العدد1-A،ص333

[3]- أم 2:21

[4]- جيمس هنري بريستد، فجر الضمير،ص382

بالنسبة للديانة الكنعانية، يلاحظ عدة تشابهات خاصة بعد اكتشاف نصوص "أوغاريت". و أكثر التشابهات وضوحا هي الواقعة بين "يهوه" و "بعل"، فبعل كما ذكر سابقا من أهم صفاته أنه راكب الغيوم؛ لأنه معطي المطر المخصب. وهذا ما نجده في المزمور 3:104 «الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح ». ويتكرر هذا الوصف في مواضع أخرى [1] .

ومن التشابهات ما نجده في المزمور 29، والذي ينظر إليه على أنه ترتيلة كنعانية للإله "بعل"، حيث تتألف بنية النص من ثلاثة أفكار تتطابق مع أسطورة بعل، ففي البداية يتسلط "يهوه" من خلال صوته الراعد على المياه فيخضعها و يطامن لججها، ثم يسمع صوته الذي يقدح لهبا ونارا، كناية عن البرق للأحياء والجمادات فتهابه وتخشاه وتسبح بمجده، وفي النهاية يجلس على كرسيه ملكا إلى الأبد في هيكله، مثلما اعتلى بعل عرشه في البيت الذي بناه عقب تغلبه على الإله "يم"[2].

والنص كما جاء في التوراة، هو كالآتي [3]:«صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. الرب فوق المياه الكثيرة. صوت الرب بالقوة. صوت الرب بالجلال. صوت الرب مكسر الأرز، ويكسر الرب أرز لبنان...صوت الرب يقدح لهب نار. صوت الرب يزلزل البرية. يزلزل الرب برية قادش. صوت الرب يولد الإيل، ويكشف الوعور، وفي هيكله الكل قائل: "مجد". الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكا إلى الأبد.»

كما أن "يهوه" عندما يصارع التنين ويقضي عليه، نجد أن تنينه يتشابه مع تنين "بعل"، فقد جاء في أحد النصوص الأوغاريتية مايلي[4]:

في ذلك الوقت ستقتل لوياثان

---

[1]- مز5:68، 18:10-14 وأيضا تث26:33. انظر روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي،ص122

[2]- فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم،ص92

[3]- مز3:29-10

[4]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص122

وتضع نهاية للحية الملتوية الهاربة

وبالمقابل جاء في سفر إشعيا 1:27«في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان، الحية الهاربة، لوياثان الحية المتحوية »

و من التشابهات كذلك، تلك النصوص التي تتحدث عن انتصار الخالق على أعدائه، ومن هذه النصوص النصان الآتيان اللذان يتشابهان شكلا ومضمونا.

النص الأوغاريتي[1]	المزمور 9:92
هو ذا أعداؤك يا بعل	هو ذا أعداؤك يارب
هو ذا أعداؤك تبيدهم	لأنه هو ذا أعداؤك يبيدون
هو ذا خصومك تبيدهم	يتبدد كل فاعلي الإثم.

كما أن هناك تشابها بين النص المنسوب لعناة:« ألست التي قضت على نهر، الإله العظيم ...»وبين النص التوراتي[2]:«ألست أنت المنشفة البحر، مياه الغمر العظيم ...».

وعلى العموم نجد عند مقارنة النصوص الأوغاريتية بنصوص التوراة التطابق في أسماء التنين ، ففي أسطورة بعل كانت أسماء التنين هي "يم" و"نهر" و"لوياثان" و"الحية الملتوية" و"الحية الهاربة" وأيضا "التنين"، و قد استخدمت التوراة الأسماء نفسها للتعبير عن هذه الأسطورة ،وهي يم(أي 12:7، مز89:9-10...)، نهر(حب8:3)، لوياثان (إش1:27، مز14:74، أي26:41/25:40...)، الحية المتحوية(إش1:27)، الحية الهاربة(أي13:26)، التنين(إش 9:51/1:27، مز13:74 ...)[3]

---

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص137

[2]- إش9:51

[3]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى ،ص120، 121

و زالمان شازار ،تاريخ نقد العهد القديم،ص156

ومن التشابه الذي يمكن أن يستشف، التشابه الحاصل في علاقة الصراع بالخلق، والتي لم تذكر صراحة في كلا الأنموذجين. فالنسبة للأنموذج الكنعاني يمكن أن تستفاد من سياق نص الأسطورة، حيث أن بناء بيت لبعل بعد الصراع يمكن أن يشير إلى عملية الخلق، وفقا لتصور الكنعانيين للخلق أنه بناء. وبالنسبة للأنموذج اليهودي فأيضا هذا الارتباط لم يذكر صراحة إلا في مواضع معينة من سفر المزامير كان المؤلف يتبع قصة الصراع مباشرة بإشارات إلى خلق العالم.

ومن التشابهات أن الكنعانيين، كما ذكرنا سابقا، كانوا يتهيبون ذكر آلهتهم بأسمائها و يلفظون بدلا منها اسم "بعل"، وكذلك نجد اليهود لدى قراءتهم في التوراة يتهيبون لفظ اسم "يهوه"، وعندما يصلون في قراءتهم لهذا الاسم يلفظون بدلا منه اسم "أدوناي" وهو من ألقاب "بعل"، كما أن اسم "أدوناي" يرد تبادليا مع اسم "يهوه" في أكثر من موضع في التوراة[1].

ونجد في التوراة أن اليهود ينادون إلههم باسم "إيل" وهو رب الأرباب عند الكنعانيين، كما نجد إسم "إيل" في كثير من أسماء الأعلام اليهودية مثل: رعوئيل، إسماعيل، إسرائيل...ومما يذكر عن هذا الإله أنه يسكن عند مصدر المحيطين، اللذين يتشابهان مع المياه الأزلية في الأسطورة اليهودية، حيث يمكن القول بأن "إيل" يتماثل مع "إلوهيم" في الرواية الأولى لسفر التكوين؛ إذ أن كلا منهما كان مع المياه الأزلية، جنبا إلى جنب .

وللرب "إيل" أيضا بعض صفات رب اليهود كرجل ملتح جالس على عرشه ويسمى أبو السنين[2].

والملاحظ أن "إسرائيل" نفسها هي أيضا كلمة أوغاريتية(كنعانية) مؤلفة من قسمين: "أسر" وتعني مختار أو نخبة، و"إيل" الإله الخالق في هذه الديانة، وقد كان هذا الإسم شائعا في كنعان، ويطلق على

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص138

[2]- سامي سعيد الأحمد، نقد العهد القديم، المؤرخ العربي، جامعة بغداد، 1982، ع22،ص235

الذكور[1]، وقد أصبحت هذه الصفة علما على "يعقوب" وذريته كما جاء في التوراة، ومما يلاحظ أن الكنعانيين جعلوا "إيل" خالقهم واحتكروه لأنفسهم ، وكذلك فعل اليهود مع هذا الإله.

4- الديـانــة الفارسيـــة

يلاحظ شبه كبير بين الخالق في اليهودية والخالق في الزرادشتية. فأهورامزدا إله مطلق، ولا نجد في وصف هذا الإله تلك الصفات التجسيمية أو التشبيهية التي وصف بها معظم الآلهة في الفكر الديني القديم، وهو في هذا يتشابه مع الإله حسب بعض فقرات التوراة التي نحت هذا النحو، ومن التشابهات البارزة بين الديانتين أن الخالق يوحي إلى عباده الذين اصطفى كلاما و رسالة من أجل الهداية والارشاد ، وإن تميز الوحي الفارسي عن نظيره اليهودي كون الأول رسالة الإله إلى الخلق أجمعين، بينما اختص الوحي اليهودي ببني اسرائيل دون غيرهم من بني البشر.

ومن التشابهات أيضا طبيعة الصراع بين الخالق وقوى الشر، حيث أن هذا الصراع سيحسم لاريب لصالح "أهورامزدا" في اليوم المعلوم وبعد انقضاء المدة المحددة على قوى الشر الممثلة في "أهرمن"، وهذا ما تذهب إليه أيضا بعض النصوص التوراتية، خاصة ما ورد في سفر إشعيا 1:27، حيث يشير هذا النص إلى أن المعركة لم تحسم، وستستمر إلى أن يقوم الرب بسحق التنين والقضاء على شروره، في يوم ما يسمى "يوم الرب".

كما يمكن أن نلاحظ تشابها بين شخصية "أهرمن" في الزرادشتية وشخصية "عزازيل" المذكورة في التوراة، وبالضبط في سفر اللاويين[2]:«ومن جماعة بني إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية، وكبشا واحدا لمحرقة. ويقرب هارون ثور الخطية الذي له، ويكفر عن نفسه وعن بيته. ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع. ويلقي هارون على التيسين قرعتين: قرعة للرب وقرعة

[1]- إدموند جاكوب، رأس شمرا والعهد القديم،ص113

[2]- لا 5:16-10

لعزازيل. ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية. وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب، ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية.»

ومما أوردته دائرة المعارف الكتابية في تفسير كلمة "عزازيل" أنه «اسم لكائن سواء الشيطان أو أحد الأرواح الشريرة»[1]، وكما هو ظاهر من الفقرات التوراتية أن الإله يتقاسم مع عزازيل (الشيطان) القربان أو الذبيحة، وذلك حسب القرعة. وهو الأمر الذي لا ينسجم مع الفقرات التي تحرم أن يعبد بنو إسرائيل آلهة أخرى، فضلا أن يعبدوا الشيطان، ويمكن ملاحظة التشابه بين هذا النص التوراتي والديانة الزرادشتية في المكانة الكبيرة التي أعطيت للشيطان، حيث يظهر كند مساو للخالق، ومستقل عنه (حسب بعض التفسيرات).

ثانيا- أوجه الاختلاف

1- الديانة الرافدينية

يختلف الأنموذج التوراتي عن معظم نماذج الشرق الأدنى القديم في بعض النقاط من أهمها أنه لا توجد في التوراة أنساب للآلهة أو أصولها، أو لتزاوج بينها، أو لصراع أو لتراتبية واضحة فيما بينها أو غير ذلك من العلاقات ، كالتي نجدها في الديانة الرافدينية من أن بعض الآلهة أبناء آلهة سابقة، وهي بدورها أباء أو أمهات لآلهة لاحقة...ثم ينشب الصراع بين الآلهة الحديثة والآلهة القديمة، ويقض ى على بعضها ليتسيد الغالب على البقية...وهذا ما لا نجده في التوراة.

وإذا قارنا صراع "مردوخ" و "تيامت" مع صراع "يهوه" و التنانين، نجد أن الصراع كان في الإينوماإيليش قبل الخلق، وكان هذا الأخير نتيجة مترتبة على هذا الصراع، بينما يذكر بعض الدارسين أن هذا الصراع في التوراة كان بعد عملية الخلق، ولم يكن قبلها.

[1]- نخبة من أشهر أساتذة الكتاب المقدس واللاهوت، دائرة المعارف الكتابية، مادة: عزازيل.

2- الديانــة المصريــة

يختلف لاهوت "أخناتون" عن اللاهوت اليهودي في أن وحدانية "آتون" أعم وأشمل فهو إله للأمم جميعا، ورحمته تشمل كل المخلوقات وليست قاصرة على المصريين فقط، بينما تحتكر اليهودية "يهوه" وتجعله إلها لليهود فقط، دون غيرهم من الأغيار.

من الاختلافات بين إله التوراة و "آتون" أن هذا الأخير إله صامت لا يتكلم ، فكما يذكر أحد الدارسين، أنه ليس هناك كلمة واحدة منه نراها في كتابات ذلك الزمن، كما لا يوجد في هذه الديانة وحي إلهي [1] ، وهذا عكس إله اليهود الذي يخاطب البشر، ويتبادل معهم الحديث- بل ويتعارك معهم أيضا، كما حصل مع يعقوب- هذا بالإضافة إلى أن التوراة نفسها ما هي إلا وحيه وخطابه لشعبه المختار.

تختلف اليهودية عن الديانة المصرية في أن الكثير من مدارس هذه الأخيرة تربط الخالق بأنساب وعلاقات مع آلهة أخرى، إضافة إلى تجسيمه في بعض الحيوانات، عكس التوراة التي تحرم تجسيم الإله أو تصويره، و محاربة "العجل الذهبي" من أوضح الأدلة على التباين بين الديانتين في هذه المسألة.

كما تختلف التوراة مع معظم الروايات المصرية التي تذكر أن ظهور الخالق كان متأخرا عن ظهور المياه البدئية الأزلية، بينما تقول التوراة بأزلية الخالق، حيث كان مع المياه منذ البداية.

3- الديانــة الكنعــانيــة

إذا قارنا بين الخالق في اليهودية و الخالق "إيل" في الديانة الكنعانية، نجد بعض الاختلافات منها أن "إيل" نفسه حسب بعض النصوص ينحني أمام القدر، كما أن منازعات البشر تنعكس عليه، و أن الكارثة التي تهدد شعبه تهددهو أيضا، كما كان له زوجات و أبناء وأعداء و أصدقاء

[1]- يان أسمان، موسى المصري حل لغز آثار الذاكرة،ص418

من الآلهة... [1] ، وهذا ما لا يظهر في التوراة، كما لا يوجد في التوراة فكرة الموت الدوري كالتي نجدها عند الخالق "بعل"، كما لا نجد أيضا تج سيد الإله وتصويره في تماثيل كال ذي نجده في الديانة الكنعانية.

4- الديانة الفارسية

تنكر اليهودية ما تذهب إليه الديانة الفارسية من القول بالثنائية الكونية القائمة على إله للنور و الخير وكل ما هو حسن، و آخر مختص بالظلمة و الشرور، ومن أنهما يحكمان العالم مناصفة بينهما، فيهوه حسب بعض النصوص التوراتية هو خالق النور كما هو خالق للظلمة أيضا ، و منه الخير وعنه يصدر الشر كذلك، ومن ذلك ما جاء في سفر إشعيا على لسان الرب:« مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه »[2]

[1]- ديل ميديكو ،التوراة الكنعانية،تر:جهاد هواس، ط1(دمشق: دار دمشق ،2000)ص68، 69

[2]- إش45:7

المبحث الثاني: خلـــق العـــالـــــم

أولا- أوجه التشابـه

1- الديانة الرافدينية

يتماثل الأنموذجان الرافديني واليهودي في السمة العامة لأسطورة الخلق، حيث أنهما ينتميان إلى أساطير الميلاد المائي، و هذه الصفة تشمل معظم أساطير الشرق الأدنى القديم، حيث تكون الحالة السابقة لبدء الكون حالة من العماء المائي الساكن ، وفي لحظة معينة ينبثق الكون من لجة العماء وينبثق النظام من قلب الفوضى.

أما عن الأساطير السومرية على وجه الخصوص، فيمكن ملاحظة بعض التشابهات، منها القول بأزلية المياه الأولى ووجودها قبل خلق الكون، حيث لم يذكر في كلا الطرفين أن إلها خلقها، سواء في ذلك اللجة "نمو" في الطرف السومري أو "تهوم" في الطرف اليهودي.

يمكن أيضا أن نلمح تشابها بين ما قام به "إنليل" (إله الهواء) الذي فصل السماء عن الأرض بعد أن كانتا كلا واحدا ، و ما قام به "إلوهيم"، حيث صنع جلدا في وسط اللجة الأزلية، فصار الجلد بالمياه التي فوقه سماء ، بينما ظهرت الأرض من المياه السفلية.

و من التشابهات الواضحة استراحة الخالق بعد الانتهاء من عناء الخلق، ففي الرواية السومرية يخلد "إنكي" للراحة والسكينة بعد انتهاءه من خلق الكون، وهو الأمر نفسه الذي يقوم به "إلوهيم" في الرواية الكهنوتية.

لكن أبرز التشابهات كانت مع الرواية البابلية في الإينومايليش ، خاصة توالي الأحداث المتماثلة في الروايتين، حتى أن "ألكسندر هايدل" الذي حاول في كتابه تجلية الفروقات بين الإينومايليش والتوراة

يعترف أن هذا التوالي المتماثل شيء لافت للنظر، ومن الصعب أن يكون عرضيا [1]. وفيما يلي سرد لهذه الأحداث بشكل تقابلي[2]:

	الإينوماإيليش	التوراة
1	العماء الأول تيامت	العماء الأول تيهوم
2	النور يتولد من الآلهة	خلق النور
3	خلق السماء	خلق السماء
4	خلق الأرض	خلق الأرض
5	خلق الأجرام السماوية	خلق الأجرام السماوية
6	خلق الإنسان	خلق الإنسان
7	الآلهة ترتاح وتحتفل	إلوهيم يستريح

ويلاحظ أيضا أن أسطورة الخلق "الإينوماإيليش" تتكون من سبعة ألواح، وهو ما يماثل عدد أيام الخلق في التوراة.

تتفق كلا القصتين في أن المبدأ الأول هو المياه ، وانطلاقا من هذه المياه الأولى تتم عملية الخلق، وهي أزلية غير مخلوقة ، في القصة البابلية هي جسد ثلاثة آلهة آبسو وتيامت وممو ، وفي الرواية التوراتية نجدها إلى جانب الإله دون بيان أقدمهما. علاوة على هذا تذكر القصتان الظلام البدئي، وإن كانت الإينوماإيليش لا تذكره بوضوح، غير أننا نجد ذكره صريحا في نص "بيروسيس" كاهن مردوخ في بابل،

1- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص179

2-استفدنا في القيام بهذا الجدول من: ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص180

وفراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص148، 149

والذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، يقول فيه أنه في البدء ، لم يكن هناك سوى الظلام والماء[1].

هذا وقد ركز بعض الباحثين على لفظة "تيهوم" في سفر التكوين والتي هي خليط من الماء والظلمة قبل بداية الخلق ورأوا فيها مرادفا للكلمة البابلية "تيامت"، كما رأوا أنه في كلا النصين هناك ثنائية الله والمادة أي أزليتهما ، وبالتالي انتفاء الخلق من العدم[2].

و عن أحداث الخلق، يتشابه الأنموذجان في أن وجود الضوء واختلاف الليل والنهار كانا قبل خلق الأجرام السماوية. ففي الأنموذج البابلي وجدت الأيام والليالي منذ عهد "أبسو"، كما أن "مردوخ" نفسه كان يشع بالنور [3]، وكذلك بالنسبة للأنموذج التوراتي الذي يتحدث عن خلق الرب للنور وتمييزه الليل عن النهار قبل أن يخلق الأجرام المنيرة.

كما يتفق الأنموذجان على أن السماء أتت نتيجة فصل المياه الأولى إلى قسمين. ففي النص البابلي يشطر "مردوخ" "تيامت" شطرين ويرفع أحدهما سماء ، وفي النص التوراتي أن السماء أتت نتيجة لفصل المياه الأزلية بالجلد الذي رفعه إلوهيم فصار سماء.

وعن خلق الأرض، فقد صنعها مردوخ بنصف تيامت الآخر، وكذلك في النص التوراتي فقد ظهرت منبثقة من المياه السفلى بعد رفع نصف المياه الأولى إلى الأعلى. أما عن خلق الأجرام المنيرة ، فقد خلقها مردوخ في النص البابلي بعد أن خلق السماء والأرض، كما قسم الوقت. وكذلك الأمر بالنسبة للنص التوراتي، حيث عمل الرب النورين العظيمين: الشمس والقمر وكذلك النجوم ونظم المواقيت، وذلك بعد خلقه السماء والأرض.

2- الديانة المصرية

1- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص106، 107

2- سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية،ص245

3- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص146

أما عن أساطير الخلق المصرية فهي تتفق في عمومها مع الرواية التوراتية في أن عملية خلق الكون كانت عن طريق الميلاد المائي، و تتشابه صفات المياه الأزلية الأولى في كلا الديانتين، و قد سميت هذه المياه في الأساطير المصرية ب "نون"، والتي من صفاتها الظلمة و الركود و اللاتشكل، وهي نفس صفات المياه الأزلية "تيهوم" في التوراة.

كما يمكن أن نلمح تشابها في أن الغالب على الأساطير المصرية هو أن ظهور الخالق كان يرتبط بالنور والضياء، وهذا العنصر كان أول ما ظهر من الخليقة في التوراة.

وإذا رجعنا إلى أسطورة "أون" على الخصوص، نلاحظ أن مبدأ الثنائية بعد مرحلة الهيولى في هذه الأسطورة الذي يتمثل في شو وتفنوت، جب ونوت، أوزوريس وإيزيس،... يتفق مع ثنائية السماء والأرض، الشمس والقمر، الإنسان ذكرا وأنثى...الواردة في التوراة.

أما عن أسطورة "خمنو" فيرى بعض الباحثين أن "حوح" و"حوحيت" اللذين يمثلان اللانهائية و اللامدرك هما موازيان للفظتين العبريتين "توهو وڤوهو תֹהוּ וָבֹהוּ" أي خربة وخالية، بينما يتشابه "كوك" الظلام و"نون" اللجة مع الكلمات العبرية "وحوشخ عل بني تهوم וְחֹשֶׁךְ עַל־פְּנֵי תְהוֹם" أي وعلى وجه الغمر ظلمة[1].

ولعل أبرز تشابه للأساطير المصرية مع التوراة يلاحظ في أسطورة "منف"، ففي هذه الأسطورة كانت عملية الخلق تتم بالأمر الإلهي ، فقد كان "بتاح" يتصور عناصر الخلق بعقله، ثم يأتي بهم إلى الوجود عن طريق كلمته الآمرة، وهو الأسلوب نفسه الذي اتخذه إلوهيم في الرواية التوراتية. و لا يقتصر التشابه على أسلوب الخلق فقط، بل يتجاوز ذلك إلى مرحلة الانتهاء من الخلق، حيث يستريح الخالق من عناء عمله في كلتا الروايتين. فقد ورد في النص التوراتي « و فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل » وهو يشابه ما جاء في أسطورة منف:«حينئذ استراح بتاح بعد أن خلق كل شيء وكل كلمة مقدسة»

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص124،125

3- الديانـة الكنعـانيــة

وفيما يخص الأساطير الكنعانية ، فتتشابه مع الرواية التوراتية في الحالة الهيولية الأزلية التي تتصف بالسكون، والتي تسبق مرحلة الخلق. وأيضا يتشابه تصور الكنعانيين للخلق بأنه عملية "بناء" مع ماجاء في النص اليهوي عند خلق المرأة من ضلع الرجل ؛ حيث استعمل المؤلف ليعبر عن عملية الخلق الفعل "بنى" أيضا. كما يمكن ملاحظة تشابه بين وصف الخالق "إيل" **كطائر** فوق المياه الأولى، و ذكر روح "إلوهيم" التي **ترف** على وجه المياه قبل الخلق، ومن هذه المياه الهيولية "الخربة" حسب وصف الروايتين يكون الخلق.

ويمكن ملاحظة بعض التشابهات في رواية "فيلون الجبيلي" مع التوراة منها صفة الظلام التي كانت تسود المرحلة السابقة للخلق، ومن التشابهات أيضا أن أول حركة مذكورة في الرواية التوراتية(السامرية بالذات) أن «رياح الله ترف على وجه المياه» [1] وهو يشابه ما ذكره "فيلون" من أن أول ما ظهر(أو خرج) كان الريح، كما أن هناك تشابها في فكرة أن النور سابق على وجود الأجرام السماوية، وفكرة أن السماء والمياه كانتا كلا واحدا ثم فصلتا أثناء عملية الخلق.

علاوة على ما سبق ، يوجد تشابه كذلك بين كلمة "عدن" الواردة في النص التوراتي على أنها المكان الذي زرع فيه "يهوه" جنته، واسم الإله "أدون" السوري، رب النبات والخصب والخضرة، وبين تعبير "جنة عدن" في التوراة و"جنات آدون" المعروفة في طقوس الخصب السورية القديمة[2].

4- الديـانــة الفارسيــة

[1]- أبو الحسن إسحاق الصوري، التوراة السامرية، ص35

[2]- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى،ص255

وعن الأساطير الفارسية يمكن ملاحظة اتفاق في طبيعة الخلق، ففي النصوص الفارسية أن "أهورامزدا" قد أبدع العالم بالفكر، وهو ما فسر على أنه خلق من عدم، وفي هذا اتفاق مع التفاسير التوراتية التي ترى أن "إلوهيم" كذلك قد أوجد العالم من عدم.

تتبدى المماثلة أيضا في تتابع عملية الخلق المتشابه، ففي الرواية الفارسية يخلق أهورامزدا السماء، ثم الماء، ثم الأرض، ثم النباتات، ثم الحيوانات وأخير يخلق الإنسان. وهو الترتيب نفسه إذا طابقنا بين الماء في الرواية الفارسية والبحار في الرواية التوراتية. كما أن هناك تشابها في أن "أهورامزدا" و "إلوهيم" خلقا عدة سماوات وليس سماء واحدة فقط، كما أنهما وضعا الأجرام السماوية بين السماء والأرض.
و تتشابه الروايتان أيضا في خلق شجرة تسمى "شجرة الحياة" وسط المياه، وهي ترمز في كلا الروايتين إلى الحياة الدائمة .

ثانيا- أوجه الاختلاف

1- الديانة الرافدينية

تختلف الأسطورة السومرية مع نظيرتها اليهودية في الأسلوب العام للخلق، حيث أن الخلق في الأسطورة السومرية كان نتيجة للفاعلية الجنسية للآلهة، و تبديا لحركتها وتفاعلها مع بعضها البعض، كما لم يكن عملية قام بها إله واحد بل نجد اللاحق يتبابع ما قام به السابق ، وفي هذا تختلف عن عملية الخلق في الرواية اليهودية التي كانت عن طريق الأمر الإلهي كما يتضح في الرواية الكهنوتية، وحتى الرواية اليهوية التي يتبدى فيها الأسلوب المادي لا نجد فيها ما يشير إلى أسلوب الخلق السومري الذي ذكرنا.
كما أن الخلق في الرواية اليهودية قام به إله واحد سمي "إلوهيم" في الرواية الأولى ، ودعي "يهوه" في الثانية.

علاوة على هذا، تختلف الروايتان في أن الرواية السومرية لم يذكر فيها بعض عناصر الخلق الموجودة في الرواية اليهودية مثل النبات والكائنات الحية، كما كانت العناصر الكونية في الرواية السومرية نفسها آلهة، أما العناصر الكونية في التوراة فلا يتسم أي منها بالألوهية.

تختلف الرواية البابلية عن التوراة في قضية خلق النبات والحيوان؛ ذلك أن الإينوماإليش لا تحتوي في أجزائها المقروءة شيئا عن خلق الحيوان والنبات، ويعتقد أن الأجزاء المفقودة من اللوح الخامس تتحدث عن مثل هذا الخلق[1]، أما الرواية التوراتية فتتحدث عن خلق النباتات في اليوم الثالث والحيوانات في اليوم السادس قبل خلق الإنسان كما في الرواية الكهنوتية، بينما تتحدث الرواية اليهوية عن خلق النبات و الحيوان بعد خلق الإنسان.

ومن الاختلافات أيضا أن النور في الرواية البابلية كان يشع من "أبسو" و "مردوخ"، لكن النور في التوراة كان أحد مخلوقات "إلوهيم"، لا صفة إلهية له كما جاء في الرواية البابلية.

2- الديانـة المصريــة

تختلف الرواية اليهودية عن الروايات المصرية في أن الغالب على هذه الأخيرة أن العناصر الكونية فيها جعلت في شكل آلهة، وكان خلق العناصر التالية لها عن طريق تزاوجها ، وهو ما لا نجده في الرواية اليهودية. هذا بالإضافة إلى اختلاف العناصر المخلوقة، حيث تختص كل رواية ببعض العناصر التي لا تذكر في الرواية الأخرى.

كما تختلف الرواية اليهودية في أسلوب الخلق مع بعض الروايات المصرية خاصة تلك التي كان أسلوب الخلق فيها عن طريق الفاعلية الجنسية للآلهة، أو الفاعلية الإفرازية لها كالبصق والتقيؤ.

3- الديانـة الكنعـانيــة

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص147

تختلف رواية "فيلون الجبيلي" عن الرواية التوراية الكهنوتية وعن معظم أساطير الشرق الأدنى في عدم ذكرها للمياه الهيولية الأولى التي يتشكل منها الخلق، كما تختلف الروايتان في أسلوب الخلق، فيظهر في رواية فيلون أن الخلق كان نتيجة تمازج الريح والشهوة الذين انبثقا من المادة الأولية، من دون ذكر إن كان لهما طبيعة إلهية أم غير ذلك. ومن هذا التمازج تتكون البيضة التي تحمل داخلها عناصر الكون، حيث تظهر هذه العناصر بعد انشقاقها. أما في التوراة فقد قام إلوهيم، الذي كان موجودا منذ الأزل، بخلق العناصر الكونية عن طريق كلمته الآمرة بطريقة متتابعة .كما أن هناك اختلافا في ذكر العناصر الكونية المخلوقة.

ومن الاختلافات أيضا أن لبعض العناصر الكونية في الميثولوجية الكنعانية (الأوغاريتية) طبيعة إلهية، وذلك مثل الشمس والقمر والنجوم، وأن بينها علائق مثل العلائق البشرية [1]، وهذا ما لا نجده في التوراة.

4- الديانـــة الفارسيـــة

تختلف الديانة الفارسية عن اليهودية في أن الأولى ترى أن "أهورامزدا" قد خلق كل ما هو طيب في الكون، بينما اختص "أهرمن" بخلق خبائثه وشروره، غير أن التوراة تخالفها في هذا، إذ تذكر أن هناك خالقا واحدا لكل ما في الكون من موجودات، خيرها وشرها. ومن الاختلافات أيضا أن "أهورامزدا" قد انتقل بخليقته إلى الحالة المادية، بعد أن كان خلقه الأول روحيا، أما التوراة فلا تشير إلى مثل هذا الخلق الروحي السابق على الخلق المادي.

ومن الاختلافات كذلك أن عنصر الماء قد احتل الترتيب الثالث في الخليقة الفارسية غير أنه لم يخلق في الرواية التوراتية بل كان أزليا واعتبر مبدأ الخلق ذاته.

[1]- ديل ميديكو، التوراة الكنعانية، ص41، 42

المبحث الثالث: خلـــق الإنســـــان

أولا- أوجـه التشابــه

1- الديانـة الرافدينيـة

يتشابه خلق الإنسان في الرواية التوراتية مع نظيرتها السومرية، وبالأخص مع أشهر أسطورة في هذا الموضوع أي أسطورة "إنكي وننخرساك"، ففي هذه الأخيرة خلق الإنسان من مادة الطين، وهي المادة نفسها التي خلق منها الإنسان في الرواية اليهوية، كما أنه خلق على صورة الآلهة "فأسبغي عليه صور الآلهة" والأمر نفسه نجده في الرواية الكهنوتية "نعمل الإنسان على صورتنا " والتي يتسمى فيها الإله بإلوهيم والتي كثيرا ما ترد بمعنى الجمع أي آلهة، وفي هذا المعنى تشابه آخر مع الرواية السومرية، حيث أن الإنسان خلق على صورة الآلهة (بالجمع) أيضا .

وفيما يخص خلق المرأة يرى عالم المسماريات "صموئيل نوح كريمر " أن خلق المرأة كما ورد في الرواية اليهوية يحتمل أن يكون له أصل سومري ويستدل على ذلك بأسطورة "دلمون" السومرية، حيث كان اسم الإلهة التي خلقت من أجل أن تشفي ضلع "إنكي"هو "نن تي" والذي يعني "سيدة الضلع" كما يعني أيضا "السيدة التي تحيي"، والتشابه الوارد هنا بين علاقة الضلع بالحياة أو الخلق في الرواية السومرية، وبين الخلق من الضلع في الرواية التوراتية، رغم أن الجناس السومري يفقد صلاحيته في التوراة[1] .

ويؤكد الأب "سهيل قاشا"* هذا الأصل حيث يقول: «أن هذا المعنى المزدوج لاسم الإلهة السومرية التي خلقت في جنة "دلمون" قد نقله العبرانيون من الأسطورة السومرية فدعيت أول امرأة في

---

[1]- صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر،ص243،244

*- سهيل قاشا: (1942-) عراقي، حاصل على الدرجة الكهنوتية، وأستاذ مادة الإسلاميات في معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت بلبنان، له العديد من الأبحاث التاريخية والدينية و غيرها، ينظر ترجمته في: سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية،ص 319، 320

جنة "عدن" في التوراة باسم حواء "التي تحيي" وتصورها في الوقت نفسه أنها من ضلع آدم لأنها كانت موكولة بشفاء ضلعه»[1]

أما عن الأساطير البابلية، فيوجد عدة تشابهات مع الرواية التوراتية منها مادة خلق الإنسان، ففي كلا الروايتين يخلق الإنسان من الطين، وقد أضيف إليه الدم كمبدأ إلهي للحياة "ليكن من الطين لتدب فيه الحياة بالدم" كما عبرت عنه إحدى الروايات البابلية، وقد كان مبدأ الحياة في الرواية التوراتية هو نسمة الحياة. كما أن الإنسان في الرواية البابلية تعلق عليه صورة الآلهة فيأتي على شبهها، وفي الرواية التوراتية يخلق على صورة الإله كشبهه.

ومن التشابهات أيضا أن الإنسان كان آخر أعمال الخلق في كلا الروايتين، كما يمكن أن نلمح تشابها بين استشارة بقية الآلهة عند خلق الإنسان كما جاء في الرواية البابلية، وبين ما ورد في الرواية التوراتية الكهنوتية حيث نجد فيها إشارات إلى مثل هذه الاستشارة كما ذكر ذلك سابقا.

كان الهدف من خلق الإنسان في الرواية البابلية هو تحميله عبء العمل الذي كان مفروضا على الآلهة، ورغم أن هذا الهدف لا يظهر واضحا في النص التوراتي السابق، إلا أننا نجد أن النتيجة النهائية الأخيرة – حسبما يذكر البعض- [2] تتطابق مع غايات الأسطورة البابلية، عندما يطرد آدم من الجنة ويفرض العمل عليه كعقوبة.

و يمكن ملاحظة أن الإنسان في الرواية اليهوية خلق من أجل حفظ الجنة والعمل فيها، و هذا قبل طرده منها «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها».

---

[1]- سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية،ص165

[2]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص148 والموضع من التوراة الذي تضمن فرض العمل على الإنسان كعقوبة هو :تك3: 16-18

2- الديانــة المصريــة

يبرز التشابه بين الرواية التوراتية و الروايات المصرية بالخصوص في أسطورة "أسوان" والتي تذكر أن الإله "خنوم" شكل البشر من الطين على عجلة الفخار، وعلى هذا تتفق الروايتان المصرية و التوراتية في مادة خلق الإنسان، حيث خلق في كليهما من مادة واحدة وهي الطين.

هذا بالإضافة إلى ذلك النص المصري الذي لم ينسب للاهوت معين، و فيه أن البشر خلقوا على صورة الرب، كما يؤكد على طيبة الإله الخالق ، حيث أنه اعتنى بمخلوقاته من البشر، فقد صنع السماء والأرض وفقا لرغبتهم، وصنع نفس الحياة لأنوفهم، وخلق من أجلهم النبات والحيوان والطيور والأسماك لكي يطعمهم.

ويمكن ملاحظة تشابهات هذا النص مع الرواية التوراتية في أن الإنسان خلق على صورة خالقه، وأيضا في المكانة المميزة للإنسان بين سائر المخلوقات، وفي أن هذه الأخيرة خلقت من أجله، أو كما عبر عنها النص التوراتي "فيتسلطون عليها". كما أن النص التوراتي يستخدم عبارة قريبة من عبارة النص المصري ليعبر عن كيفية جعل الإنسان نفسا حية ، ففي النص المصري: يصنع نفس الحياة لأنوفهم أو خلق النسمة كي تحيا أنوفهم ، وفي النص التوراتي: ينفخ في أنفه نسمة حياة.

3- الديانــة الكنعانيــة

أما عن الأساطير الكنعانية ، فلم يكتشف حتى الآن أي نص عن خلق البشر، ولكننا نجد بعض النصوص تنسب إلى "إيل" خلق الإنسانية والمحافظة عليها والاهتمام بها [1] ، وهذا تذهب إليه التوراة أيضا.

[1]- إدموند جاكوب، رأس شمرا والعهد القديم،ص84

ومن التشابهات أن الاسم "آدم" الذي أطلقته الرواية اليهوية على الإنسان الأول هو أيضا كلمة أوغاريتية (كنعانية) وتعني البشر أو الإنسان . وقد وردت هذه الكلمة في عدة نصوص أوغاريتية [1]، ومما ورد في ذلك "أب آدم ويقرب" أي "ويقترب أبو البشر"[2] .

ويلاحظ بعض التشابهات مع رواية "فيلون" منها التركيز في هذه الرواية على كون "إيون" الإنسان الأول أنه أول من عرف الفواكه الصالحة للأكل، وتركيز التوراة على أن "آدم" الإنسان الأول أول من عرف الفواكه(أو أشجارها) الصالحة للأكل دون غيرها(المحرمة)، وذلك عن طريق "يهوه"، كما تتشابه الروايتان في خلق زوج بشري أول واحد يكون من نسله بشر آخرون .

4- الديـانــة الفارسيــة

أما فيما يخص الديانة الفارسية، فيمكن ملاحظة أن الزوج البشري الأول حسب الرواية الفارسية خلق من نبتة خرجت من تراب الأرض، وفي الرواية التوراتية أن الرب جبل آدم ترابا من الأرض. كما أنه في كلا الروايتين تنتهي عملية الخلق بأن ينفخ الخالق في الإنسان روحا كما جاء في النص الفارسي أو نسمة حياة كما جاء في النص التوراتي.

كما أن هناك شبها آخر بين الروايتين، ففيهما أن الإله بعد إتمامه لخلق الزوج البشري الأول يحرص على مخاطبته بتعريفه بمكانته ووظيفته في الكون، وإن كانت المفاهيم الأخلاقية تتبدى في الرواية الفارسية دون نظيرتها التوراتية التي يلاحظ اتسامها بالمادية.

ففي النص التوراتي يخاطب "إلوهيم" الزوج البشري الأول قائلا: « أثمروا واكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض»

[1]- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى،ص148

و أيضا فراس السواح ، جلجامش، ط1(دمشق : دار علاء الدين،1996)ص272

[2]- سيد القمني، الأسطورة والتراث،ص205

وبالمقابل يخاطب "أهورامزدا" أول زوج بشري قائلا: «أنتم الإنسان، وأنتم سلف العالم. خلقتما كاملين، فحافظا على الفكر الحسن والكلمة الحسنة والعمل الحسن، ولا تخضعا للشيطان»

ومن التشابهات البارزة بين الروايتين موقع الإنسان أو ترتيبه في قائمة الخليقة، حيث كان سادس المخلوقات وآخرها ، سواء في ذلك خلق "أهورامزدا" أو خلق "إلوهيم".

وعلاوة على ما سبق، يمكن ملاحظة أن "جيومرت" الإنسان الأول في الرواية الفارسية وصف بأنه كان خنثى، وهو نفس وصف الإنسان الأول "آدم"، كما تذهب إليه التقاليد المنقولة عن بعض الميدراشيم[1] .

ثانيا- أوجه الاختلاف

1- الديانة الرافدينية

تختلف الروايات الرافدينية عن التوراة في أن الأولى كان خلق الانسان فيها عملا قام به أكثر من إله، عكس التوراة التي تتحدث على خالق واحد، كما أن مادة خلق الإنسان في بعض الروايات الرافدينية كانت دم الآلهة أو بصاقها أو منيها...إضافة إلى ورود بعض أنماط الخلق التي تشبه الإنسان بالنبات أو الحيوان في شكله الأول، وهذا يخالف التوراة التي تذكر أن الإنسان خلق من طين الأرض ثم نفخ في أنفه نسمة حياة فصار بشرا سويا.

ومن الاختلافات أيضا أن خلق الإنسان في روايات بلاد الرافدين كان من أجل خدمة الآلهة وتخفيف عبء العمل عنها وإرضاء لفئة من الآلهة الساخطين ، وهذا يخالف الرواية الكهنوتية التي تجعل

[1]- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج1،ص206

الغاية من خلق الإنسان فقط أن يكون سيدا على مخلوقات البر والبحر والهواء، وأن باقي المخلوقات خلقت لأجله .

2- الديانـة المصريـة

تختلف بعض الروايات المصرية مع الرواية التوراتية في أن مادة خلق الإنسان في الأولى كانت دموع الخالق، وليس طين الأرض مثل التوراة، كما نجد أن التوراة تختلف مع أسطورة "أسوان" التي تشابهت معها في مادة خلق الإنسان، حيث كان الخلق في هذه الأسطورة متواصلا فقد كان الإله"خنوم" يشكل المواليد الجدد في دولابه باستمرار، وهو في هذا يخالف "يهوه" الذي خلق زوجا بشريا وحيدا، وقد أوجد باقي البشر من خلال تناسل هذا الزوج الأول.

تختلف الرواية التوراتية عن نظيراتها المصرية التي تجعل خلق الإنسان أمرا عرضيا، ناتجا عن انفعالات الخالق، وحتى مع تلك التي تجعل الهدف من خلق البشر هو تأسيس المدن وتشييدها، حيث أن خلق الإنسان في التوراة يأخذ مكانا محوريا، ولم يكن أمرا عرضيا، كما كان الهدف من خلقه فقط أن يتسيد ويتسلط على باقي المخلوقات، كما جاء في الرواية الكهنوتية.

3- الديانـة الكنعـانيـة

يبرز الاختلاف بين رواية "فيلون الجبيلي" الكنعانية والرواية التوراتية في كون رواية "فيلون" تتحدث عن خلق الكنعانيين فقط دون غيرهم من البشر، أما الرواية التوراتية فتتحدث عن البشرية كلها، وليس عن الجنس اليهودي فقط، وإن خصصت باقي إصحاحاتها وأسفارها للحديث عن هذا الشعب "المقدس" باعتباره محور الخليقة كلها.

كما تختلف الروايتان في أسلوب الخلق، حيث كان في الرواية الأولى عن طريق الريح "كولبيا"؟ وزوجه "باو"؟ وعلى الأرجح عن طريق تناسلهما، أما في الرواية التوراتية فكان عن طريق الكلمة الآمرة كما تذكر الرواية الكهنوتية، أو من طين الأرض المشكل عن طريق يهوه كما تذكر الرواية اليهوية.

4- الديانــة الفارسيــة

لا يرد في التوراة ما جاء في الرواية الفارسية من أن الشيطان قتل الإنسان الأول، ومن بذور هذا القتيل خرجت النبتة التي حملت أوراقها الزوج البشري الأول الذي كان في وضعية اتحاد لا يتبين منه الذكر عن الأنثى، فالتوراة تخالف هذه الرواية، حيث أن الذكر الأول جبل ترابا من الأرض ، ولم يخرج نباتا منها، وخلق لوحده مستقلا عن الأنثى التي تخلق بعد ذلك حتى تأنسه وتعينه كما تذكر الرواية اليهوية.

كما تختلف الروايتان في الهدف من خلق الإنسان، فتتبدى النظرة المادية في الرواية التوراتية، حيث تحصر الهدف من خلق الإنسان في التسلط على باقي المخلوقات، بينما تبرز النظرة الأخلاقية في الرواية الفارسية، حيث كان الهدف من خلق الإنسان محاربة الشيطان والقضاء على شروره. وبينما ترى الرواية الفارسية أن الخير والشر في صراع مستمر، وستكون الغلبة للخير في نهاية الزمان، تنظر اليهودية إلى هذا اليوم المنتظر على أنه اليوم الذي يسود فيه شعب "يهوه" المختار على باقي الخلق، وهنا تنحصر فكرة التسلط السابقة، وتصبح حقا للشعب المقدس فقط دون غيره من الأغيار، وعلى هذه الفكرة تقوم فلسفة تاريخ الكون كله عند اليهود.

المبحث الرابــع : خلاصـــــة عامـــــــــة

تبين من خلال المباحث السابقة وجود اتفاقات كثيرة و تماثلات عديدة بين ديانات الشرق الأدنى القديم والديانة اليهودية فيما يخص أسطورة الخلق التي تضمنتها نصوص هذه الديانات، وهذا ما يدعونا إلى التساؤل حول تفسير هذه التشابهات.

يرى بعض الدارسين أننا يمكن أن نرجع تشابه الأساطير بين الشعوب إلى تشابه الظروف الروحية والفكرية التي مرت بها هذه الشعوب، كما أرجعها بعضهم إلى تماثل الأفكار الأساسية التي يحملها الجنس البشري عموما[1].

لكن الملاحظ أن هذه التفسيرات إن صلحت مع بعض التشابهات بين الأساطير، فإنها لا تصلح لتفسير تشابهات كالتي ذكرت سابقا مثل: التشابه في بعض النصوص من حيث الشكل والمضمون، التشابه في تتابع أحداث الخلق... فهذه التشابهات لا يمكن أن تفسر بمثل هذه العمومية، وعلى هذا اقترح كثير من الدارسين أن يكون أحد طرفي المقارنة قد اقتبس أو اعتمد على الطرف الآخر في تشكيل أسطورته الخاصة.

وبالرجوع إلى تواريخ نصوص هذه الديانات، لنرى السابق من اللاحق، نجد مايلي:

– بالنسبة لوثائق بلاد الرافدين، فإن النصوص السومرية عن الخلق يرجع تاريخها إلى الفترة من منتصف القرن الثامن والعشرين إلى حوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد. أما الوثائق البابلية، فيرجع تاريخها إلى الفترة من بداية القرن الثالث والعشرين وحتى القرن العاشر قبل الميلاد، وحتى النسخ المتأخرة منها فإنها ترجع إلى نصوص أقدم[2].

---

[1] – مصطفى أوشاطر، الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، ص115-117

[2] – كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص243

– وبالنسبة إلى وثائق مصر، فإنه يرجع تاريخها من حوالي القرن الخامس والثلاثين وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد[1].

– وبالنسبة للنصوص الكنعانية (الأوغاريتية)، فإن تاريخها يعود إلى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

– وعن النصوص الفارسية، فإن تاريخها يعود إلى حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، أو قبل ذلك بكثير.

أما بالنسبة للنص اليهودي أي التوراة، فإن أقدم مصادرها وهو المصدر اليهوي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد، كما ذكر سابقا، أما تحريرها وكتابتها فلم تتم إلا في القرن السادس قبل الميلاد[2].

ومن خلال هذا يتضح أن نصوص الشرق الأدنى أقدم بكثير من نصوص التوراة، ومن ثم لا يجوز ادعاء اقتباس نصوص سابقة من نصوص لاحقة، وحتى بالنسبة للنصوص الأحدث في تراث الشرق الأدنى القديم كالنصوص الفارسية فإنها ، حسب ما يذكر بعض الباحثين، تحمل سمات خاصة بها لا يشوبها اقتباس من اليهود، بل من المعروف أن اليهود أثناء إقامتهم في بابل تأثروا كثيرا بالتراث الفارسي، حيث تعاملوا مع سادتهم الفرس وتآمروا معهم ضد البابليين، وكانت مكافأتهم أن سمح لهم "قورش" بالعودة إلى فلسطين، هذا علاوة على أن "عزرا" الذي ينسب إليه جمع التوراة كان أحد الموظفين بالدواوين الفارسية، بل يمكن القول أن اليهود ظلوا على مدى تاريخهم الطويل يلعبون دور التابع المتلقي،

[1] – كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص243

[2] – يمكن مراجعة تاريخ تدوين التوراة عند: يوسف الكلام ،تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص63-72

ولم يكونوا في يوم من الأيام أصحاب حضارة متميزة تمد تأثيرها إلى جيرانها [1]. و بصريح التوراة نجد أن الشعب اليهودي ارتد عديد المرات وعبد بعض آلهة تلك الشعوب وذلك بمباركة حكامه وكهنته.

هذا و بالإضافة إلى الاقتراحين السابقين، أي أن أحد الطرفين قد اعتمد على الآخر، اقترح بعض الدارسين رأيا آخر مفاده أن هذه الديانات قد نهلت من مصدر مشترك ما، حيث عزوا العناصر المشتركة و المتشابهة إلى تراث إنساني مشترك يعود إلى زمن كان فيه الجنس البشري يحتل موطنا مشتركا ويتمسك بإيمان مشترك[2]. و الحقيقة أنه لا يتحتم علينا القول بوحدة الموطن والمكان، و الذي لم يبرهن عليه، حتى تتفق وتتشابه هذه الأساطير في بعض النواحي، حيث يمكن أن نفسر ذلك مثلا بالميراث النبوي العالمي، خاصة حسب النظرية الإسلامية التي ترى أنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير.

ولعل الأجدر بنا أن لا نأخذ تفسيرا بعينه من التفسيرات السابقة المقترحة نفسر ونعلل به كل التشابهات، بل الأفضل أن تتكامل هذه التفسيرات في فهمنا لهذه الظاهرة، وإن كان لبعضها أحيانا مقدرة تفسيرية أعلى من بعض.

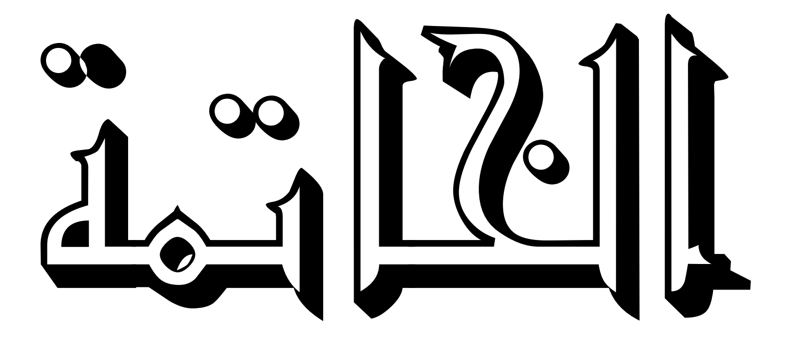
وبالجانب المقابل، نجد أن اليهودية قد اختلفت في بعض المناحي عن ديانات الشرق الأدنى القديم، وبعض هذه الاختلافات أعطى لليهودية شكلا متميزا وخاصا بين سائر تلك الديانات، ومن هذه الاختلافات القول بخالق واحد لكل ما في الوجود، الابتعاد عن أساطير الحلول الإلهي، وتحول الطبيعة من قوة خالقة إلى قوة مخلوقة، أسلوب الخلق كان عن طريق الكلمة المعبرة عن الإرادة الإلهية، كما تضمنت بعض الفقرات التوراتية نظرة توحيدية راقية...

[1]- كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى،ص241، 244

[2]- ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي،ص192

وأيضا سليمان مظهر،أساطير من الشرق،ص10

وإذا كانت هذه النقاط تحسب لليهودية، حيث شكلت أحد المنعطفات البارزة في الفكر الديني القديم، لكننا نجدها بالمقابل نزلت أحيانا دون مستوى بعض هذه الأديان في تصورها للخالق، ومن ذلك عالمية "آتون" أو "أهورامزدا" مقابل عنصرية "يهوه"، والتجسيم الذي ألصق بهذا الأخير و تنزهت عنه بعض أديان المنطقة...


الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتاح لنا استخلاص مجموعة من النتائج، من أهمها مايلي:

- يعرف مصطلح الأسطورة اضطرابا كبيرا من حيث الاستخدام، ويرجع البعض ذلك إلى تعدد المدارس والمذاهب الفكرية و الرؤى المختلفة في معالجة هذا الموضوع، ويرجعه بعضهم إلى موضوع الأسطورة ذاته باعتباره واقعا ثقافيا معقدا، يمكن أن يتناول ويؤول من منظورات متعددة. و على العموم، نجد أن الباحثين في العلوم الإنسانية الحديثة قد استبعدوا صفات الزيف والوهم والخرافة من تعريفهم لها، وركزوا بالمقابل على أهميتها في حياة الأفراد والجماعات.

- من صعوبات تعريف الأسطورة اختلاطها بغيرها من الأجناس الشبيهة بها، وقد اقترح بعض الدارسين مجموعة من الخصائص لتمييز النص الأسطوري عن غيره، وأهم هذه الخصائص هي خاصية القدسية التي لا نجدها في تلك الأجناس، فالأسطورة على العموم هي قصة مقدسة ترتبط بعالم الإلوهية، وتتميز موضوعاتها بالجدية والشمول، وترتبط بالنظام الديني؛ حيث تقوم بتوضيح المعتقدات، والدخول في صلب الطقوس. أما عن أسطورة الخلق فهي الأسطورة التي تتحدث عن أصل الكون وكيفية ظهور العالم إلى الوجود، وهي على هذا تتخذ مكان المركز والبؤرة في أي منظومة ميثولوجية .

- تتشابه أساطير الخلق في ديانات الشرق الأدنى في بعض النقاط، منها أن معظم الأساطير تقول بأسبقية المادة الهيولية الأولى على الخلق وأزليتها، وقد كان عنصر الماء أهم مكوناتها، وكثيرا ما كانت توصف هذه المياه الأولية بأنها مظلمة و راكدة و خربة، كما قسمت معظم الأساطير الخلق إلى مراحل متتابعة، كما ركزت على أهمية الإنسان ومحوريته بين باقي المخلوقات الأخرى، وذهبت أغلبية الأساطير إلى أن الإنسان يحمل عنصرا إلهيا في خلقه، وأنه خلق من طين الأرض. و بالمقابل اختلفت في نقاط أخرى، من أهمها: كيفية خلق العالم و الإنسان، والهدف من خلقهما.

- لا يقوم تصور التوراة للخالق على تصور واحد مطرد في جميع أسفارها وفقراتها، بل نجد أن صفات الخالق وإن كانت تتفق والذات العلية أحيانا، إلا أنها في معظم الأحايين، أقرب إلى صفات

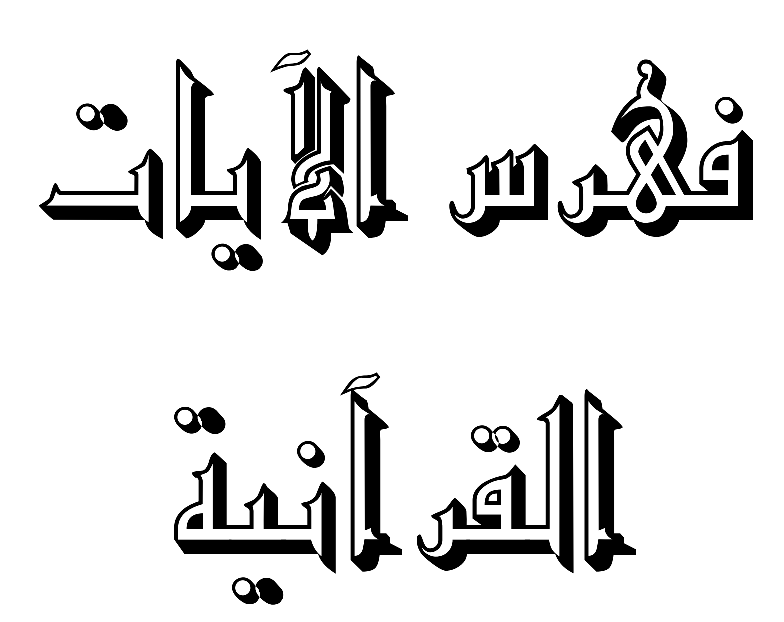
البشر بما فيهم من ضعف ونقص. وحسب كثير من النصوص التوراتية، نجد أن اللاهوت اليهودي يقوم على عقيدة التفريد، وهي دون التوحيد، بحيث لا تتجاوز تغليب إله على غيره من الآلهة، وتتصل بهذه العقيدة عقيدة شعب الله المختار، التي يظهر فيها"يهوه" كإله عنصري، قام باختيار الشعب اليهودي من بين جميع الشعوب كاختيار عرفي تلقائي، من دون أي سبب منطقي.

– تحتوي اليهودية على روايتين متمايزتين للخلق، تنسب الأولى للمصدر الكهنوتي وسمي الخالق فيها "إلوهيم"، أما الثانية فتنسب للمصدر لليهوي وسمي الخالق فيها "يهوه". وبالإضافة إلى الاختلافات الكثيرة بين الروايتين، نجد أن الرواية تتناقض مع نفسها في بعض الأحيان، هذا علاوة على الكثير من التناقضات مع العلم والعقل. ورغم أن البعض يرى أن الطابع التجسيدي أظهر في الرواية الثانية منه في الأولى، إلا أننا نجد أن أسلوب هذه الأخيرة يهبط أحيانا إلى مستوى التشبيه والتجسيم الفاضح، ومن ذلك ما ورد فيها من أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه، و أن الخالق استراح بعد أن أتم خلقه، كما يظهر أن الخلق يأخذ طبيعة عشوائية تجريبية...

– أكدت المقارنات السابقة أن الروايات اليهودية تتشابه كثيرا مع أساطير الخلق في الشرق الأدنى القديم، فنجدها أحيانا تتطابق في تتابع مراحل الخلق، وأحيانا في مادة الخلق أو كيفيته أو هدفه...كما نجد أحيانا تطابقا في بعض الأجزاء من النصوص شكلا ومضمونا، هذا فضلا عن التشابه في صفات الخالق نفسه، وهذا كله يؤيد فرضية اعتماد كتاب التوراة على أساطير هذه الديانات، خاصة إذا علمنا أن نصوص الشرق الأدنى أقدم بكثير من نصوص التوراة، مما ينفي الادعاء باقتباس نصوص سابقة من نصوص لاحقة، بالإضافة إلى أن اليهود عبر تاريخهم الطويل كانوا يلعبون دائما دور التابع المتلقي في ظل حضارات المنطقة، ومن ذلك أن "عزرا" مدون التوراة كان أحد الموظفين بالدواوين الفارسية. و بصريح التوراة نجد أن الشعب اليهودي ارتد عديد المرات وعبد بعض آلهة تلك الشعوب وذلك بمباركة حكامه وكهنته... فلا نستغرب إن وجدنا التوراة الحالية لا تربطها بتوراة موسى –عليه السلام– إلا أوهى الروابط، لما دخلها من تبديل و تغيير.

– ورغم تلك التشابهات السابقة إلا أننا لا ننفي أن اليهودية اختلفت في بعض المناحي عن الكثير من ديانات الشرق الأدنى القديم، وبعض هذه الاختلافات أعطى لليهودية شكلا متميزا و خاصا وسط تلك الديانات، ومن هذه الاختلافات القول بخالق واحد لكل ما في الوجود، الابتعاد عن أساطير الحلول الإلهي، وتحول الطبيعة من قوة خالقة إلى قوة مخلوقة، أسلوب الخلق كان عن طريق الكلمة المعبرة عن الإرادة الإلهية، كما تضمنت بعض الفقرات التوراتية نظرة توحيدية راقية... و هي في هذا قد شكلت نقطة تحول بارزة في الفكر الديني القديم، ولكنها لم تسلم من التأثر بوثنيات ذلك الفكر، كما ذكرنا، وهذا ما وسمها بتلك الطبيعة التركيبية غير المتجانسة و المتنافرة.


الفهارس


فهرس الآيات
القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
05	25	يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ	الأنعام
03	05	وقالوا أَساطير الأَوّلين	الفرقان
03	01	ن و القلم وما يَسْطُرُونَ	القلم
05	15	إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ	القلم

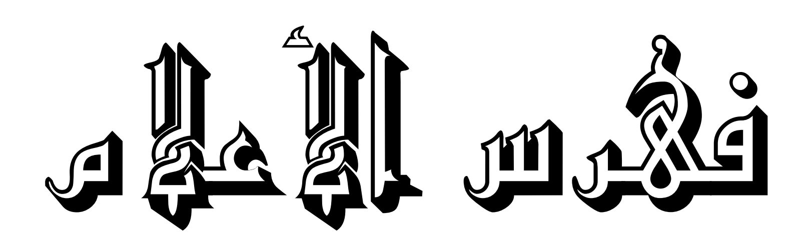

فهرس الفقرات
التوراتية

فهرس الفقرات التوراتية

	ارتعدت وارتجت لأنه غضب...			
	تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم...	21	9	103
	بقوته يزعج البحر، وبفهمه يسحق رهب. بنفخته السموات...	26	12، 13	101
	هو ذا بهيموت الذي صنعته معك يأكل العشب مثل البقر...	40	15-24	100
	أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه...	74	13، 14	102
	أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لججه أنت تسكنها...	89	9، 10	102
المزامير	فارتجت الأرض وارتعشت، أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب...	18	7، 8	103
	تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك، الرب بسخطه يبتلعهم...	21	9	103
	صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. الرب فوق المياه الكثيرة...	29	3-10	111

	أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه...	74	13، 14	102
	أي إله عظيم مثل الله.	77	13	81، 91
	الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي: "حتى متى تقضون جورا...	82	1-6	82
	لا مثيل لك بين الآلهة يا رب.	86	8	81
	لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله؟...	89	6، 7	82
	أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لجحه أنت تسكنها...	89	9، 10	102
	لك السموات ، لك أيضا الأرض، المسكونة وملؤها أنت أسسته م ا...	89	11، 12	102
	هو ذا أعداؤك يارب لأنه هو ذا أعداؤك يبيدون...	92	9	112
	الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح.	104	3	111
	تجعل ظلمة فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر....	104	20-24	109

	ربنا فوق جميع الآلهة.	135	5	81
الأمثال	و الرب وازن القلوب.	21	2	110
إشعيا	في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان...	27	1	112
	أنا الرب وليس آخر. لا أحد سواي...	45	7-5	80
	مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه.	45	7	117
	استيقظي استيقظي! البسي قوة يا ذراع الرب! استيقظي كما في أيام القدم...	51	9	103


فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

* الكتاب المقدس، ط4(مصر: دار الكتاب المقدس، 2006)

أولا– الكتب

أ– الكتب العربية والمعربة

1. إبراهيم محمد إبراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، ط 1(مصر: مطبعة الأمانة، 1985)
2. أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، ط 1(طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2006)
3. أحمد سليم وسوزان عباس، دراسة في الفكر الديني في مصر الفرعونية، ط1(الإسكندرية:دار المعرفة، 2008)
4. أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1(القاهرة: دار الأفاق العربية، 2004)
5. أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم،ط2(مصر: المكتبة الأنجلومصرية، 1963)
6. إدريس اعبيزة، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها لسعديا الفيومي، ط 1(الرباط: دار الأمان،2010)
7. إدموند جاكوب، رأس شمرا والعهد القديم، تر: جورج كوسى، ط2(دمشق: دار الفرقد، 2007)
8. إدموند ليتش، كلود ليفي شتراوس– البنيوية في مشروعها الأنثروبولوجي، تر: ثائر ديب، ط 2 (دمشق:دار الفرقد، 2010)
9. آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ط1 (دمشق: دار نينوى،2001)
10. إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ط2 (القاهرة: دار التضامن،1988)

11. اسماعيل راجي الفاروقي و لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط1(الرياض: مكتبة العبيكان، 1998)

12. ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي، تر: سعيد الغانمي، ط 1(كولونيا- بغداد: منشورات الجمل، 2007)

13. ألكسي لوسيف، فلسفة الأسطورة، تر:منذر حلوم،ط1(اللاذقية:دار الحوار،2000)

14. إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، ط؟(القاهرة: مكتبة مدبولي،1995)

15. إيريك هورنونج، أخناتون وديانة النور، تر:محمود ماهر طه، ط 1(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)

16. باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، د.ط(بيروت:دار التنوير،2008)

17. برانايتس، فضح التلمود، ط3 (بيروت: دار النفائس، 1985)

18. بولس الفغالي وأنطون عوكر، العهد القديم العبري عبري-عربي، ط1(لبنان :المكتبة البولسية،2007)

19. بيار بونت ميشال إيزار، معجم الإثنولوجيا والأنثربولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط 1(بيروت: دار مجد، 2006)

20. تادرس يعقوب ملطي، سفر التكوين، ط1(القاهرة: الأنبا رويس، 1983)

21. ج بوطيرو وآخرون، الشرق القديم ونحن، تر:حميد جسوس،ط1(دمشق :دار المدى،2007)

22. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام،د.ط(الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1993)

23. جمال ميموني ونضال قسوم، قصة الكون، ط1(الجزائر : دار المعرفة، 2006)

24. جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة توثيق حضاري، ط1(البحرين:جمعية التجديد، 2005)

25. جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر: محمد محمود الجوهري، ط 1(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ت؟)

26. جيمس بريتشارد، نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، تر:عبد الحميد زايد،د.ط (مصر:مطبعة هيئة الآثار ،د.ت)

27. جيمس هنري بريستيد، فجر الضمير، تر: سليم حسن،د.ط(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)

28. حبيب سعيد، أديان العالم، د.ط (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت)

29. حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، د.ط (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت)

30. ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح:عادل بن سعد،ط 1(القاهرة: دار ابن الهيثم،2005)ج1

31. أبو الحسن إسحاق الصوري، التوراة السامرية، تق: أحمد حجازي السقا،ط 1(القاهرة:دار الأنصار،1978)

32. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4(دمشق: دار القلم،1999)

33. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، د.ط (بيروت:دار الفكر اللبناني، 1994)

34. حسين مجيب المصري، الأسطورة بين العرب والفرس والترك –دراسة مقارنة، ط 1(القاهرة:الدار الثقافية للنشر، 2000)

35. خزعل الماجدي، إنجيل بابل،ط1(عمان:دار الأهلية،1998)

36. خزعل الماجدي، الدين المصري،ط1(عمان:دار الشروق،1999)

37. خزعل الماجدي، سحر البدايات، ط1(دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع، 2011)

38. خزعل الماجدي، متون سومر،ط1(عمان:دار الأهلية،1998)

39. خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1(عمان:دار الشروق،2001)
40. خليل عبد الرحمن، أفستا"الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية"، ط2(دمشق: دار روافد، 2008)
41. دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، تر: علي خليل،ط 1(دمشق:دار السوسن،2005)
42. ديل ميديكو ، التوراة الكنعانية، تر:جهاد هواس (ط1،دمشق دار دمشق ،2000)
43. راثفين، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، ط1(بيروت: منشورات عويدات، 1981)
44. ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، ط3(دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1963)
45. ربحي كمال، المعجم الحديث عبري عربي، ط2(بيروت: دار العلم للملايين، 1992)
46. رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، ط1(دمشق: دار التكوين، 2009)
47. رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ط1(القاهرة: المكتب المصري، 2002)
48. روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ط2(بيروت :دار المشرق ،1990)
49. رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ط1(دمشق:دار علاء الدين،2000)
50. زالمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم،تر:أحمد هويدي،د.ط (مصر:المجلس الأعلى للثقافة،2000)
51. الزمخشري، أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود،ط1(بيروت:دار الكتب العلمية،1998)ج1
52. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، د.ط(بيروت: دار الكتاب العربي،1407) ج19
53. سامي المغلوث، أطلس الأديان، ط1(الرياض : مكتبة العبيكان،2007)
54. سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ط1(القاهرة:دار الشروق،2000)
55. سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط1(بيروت: دار بيسان،1998)
56. سيتن لويد، فن الشرق الأدنى القديم، تر: محمد درويش، د.ط(بغداد: دار المأمون،1988)
57. سيد القمني، الأسطورة والتراث،ط3(القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة،1999)
58. سيغموند فرويد، موسى والتوحيد ،تر: جورج الطرابيشي،ط6(بيروت :دار الطليعة،2009)

59. شتاينسالتز أدين،مدخل إلى التلمود، تر: فينيتا بوتشيفا الشيخ، ط1(دمشق: دار الفرقد،2006)

60. شريف حامد سالم، المصدر اليهوي في التوراة، ط1(القاهرة: مكتبة مدبولي، 2011)

61. شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، ط1(القاهرة: مكتبة مدبولي، 2011)

62. الشهرستاني، الملل والنحل، إشراف وتقديم: صدقي جميل العطار، د.ط(بيروت: دار الفكر،2008)

63. صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، د.ط(تونس: دار بوسلامة، د.ت)

64. صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، تر: نهاد خياطة، ط3(دمشق: دار علاء الدين، 2000)

65. صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، تر: طه باقر، د.ط،(القاهرة: مؤسسة الخانجي، د.ت)

66. صموئيل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، ط2 (القاهرة: دار الثقافة،2005)

67. الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط 1(ب؟:مؤسسة الرسالة،2000) ج19

68. عباس محمود العقاد، الله، د.ط(بيروت: المكتبة العصرية، 1949)

69. عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، د.ط(القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994)

70. علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، ط1(القاهرة: مكتبةنهضةمصر، 1964)

71. غطاس يوسف وبطرس ميخائيل، الدر الثمين في شرح سفر التكوين، د.ط(مصر: المطبعة الخديوية،1895)

72. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام هارون، د.ط(بيروت: دار الفكر، د.ت) ج3

73. ف.دياكوف وس.كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم اليازجي، ط 1(دمشق : دار علاء الدين،2000)ج1

74. فراس السواح، آرام دمشق واسرائيل، ط1(دمشق : دار علاء الدين،1995)

75. فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ط1(دمشق : دار علاء الدين،1997)

76. فراس السواح، الرحمن والشيطان، ط1(دمشق : دار علاء الدين،2000)

77. فراس السواح ، جلجامش، ط1(دمشق : دار علاء الدين،1996)

78. فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط1(دمشق : دار علاء الدين،2006)

79. فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى، ط11(دمشق : دار علاء الدين،1996)

80. فضل عبد الله الجثام، الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، ط 1(دمشق: دار علاء الدين، 1999)

81. فضيلة عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، ط1(عمان: دار اليازوري، 2009)

82. فيليب سيرنج، الرموز في الفن –الأديان– الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط 1(دمشق: دار دمشق، 1992)

83. قاسم الشواف، ديوان الأساطير الآلهة والبشر،تق: أدونيس،ط1 (بيروت:دار الساقي، 1997)

84. قاسم الشواف، ديوان الأساطير الحضارة والسلطة،تق: أدونيس، ط1 (بيروت:دار الساقي، 1999)

85. كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1(الجيزة:مكتبة النافذة،2006)

86. كامل سعفان، معتقدات آسيوية، ط1(مصر: دار الندى، 1999)

87. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط2(السعودية:دار طيبة،1999) ج3

88. كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ط1(عمان: دار الشروق،1999)

89. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، تر:عفيف الرزاز، ط6(بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1997)

90. مارسيل ديتيان، اختلاق الميثولوجيا، تر: مصباح الصمد، ط1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)

91. مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر:زينة عازار و ميشال أبي فاضل، ط2(بيروت–باريس: منشورات عويدات،1984)
92. مجهول، مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، د؟(بيروت:؟،1869)
93. محمد أبوزهرة، الديانات القديمة، د.ط(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)
94. محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، د.ط(بيروت:دار النهضة العربية،1981)
95. محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل"الحضارة والتوراة والتلمود"، ط 1(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1999).ج3
96. محمد بيومي مهران، حضارة الشرق الأدنى القديم الحياة الدينية، ط 1(مصر :دار المعرفة الجامعية،2011)
97. محمد حسن عبد الله، أساطير عابرة للحضارات، ط1(القاهرة: دار قباء، 2000)
98. محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ط1(القاهرة: دار قباء، 1998)
99. محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، د.ط (القاهرة: دار قباء، 1998)
100. محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية، د.ط(القاهرة: دار الثقافة، 1988)
101. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، د.ط(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996)
102. محمد عبد الرحمن يونس، مقاربات في مفهوم الأسطورة شعرا وفكرا، ط 1(السعودية: النادي الأدبي في منطقة الباحة، 2011)
103. محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، طبعة منقحة(بيروت: دار الفارابي،2005)
104. محمد فهد القيسي، قصة الخليقة بين الألواح المسمارية والكتب السماوية، ط 1(دمشق: دار تموز، 2011)

105 مرسيا إلياد، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر: سعود المولى، ط 1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)

106 مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ط 1 (دمشق: دار دمشق،1987)ج1 و ج2

107 مرسيا إلياد، ملامح عن الأسطورة، تر:حسيب حاسوكة،ط 1(دمشق:منشورات وزارة الثقافة،1995)

108 مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، تقديم: محمد خليفة حسن، ط 1(الجيزة: دار الطيبة،2008)

109 م.ضباعي، قاموس الأفعال العبرية عبري-عربي، د.ط(بيروت: مكتبة لبنان، 1975)

110 م.ف.ألبيديل، سحر الأساطير، تر: حسان ميخائيل إسحاق، ط 1(دمشق: دار علاء الدين، 2005)

111 ملاك محارب، دليل العهد القديم، د.ط (مصر: مكتب النسر،1997)

112 ابن منظور، لسان العرب، ط1(بيروت:دار صادر، د.ت) ج4

113 موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، تر: فوزي شعبان،د.ط(د.ب: المكتبة العلمية،د.ت)

114 موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد،ط 3(بيروت: المكتب الإسلامي،1990)

115 موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تح: حسين أتاي، د.ط (مصر: مكتبة الثقافة الدينية،د.ت)

116 موسى بن ميمون، المقدمات الخمس والعشرون، تصحيح وتقديم: محمد زاهد الكوثري، د.ط (مصر: المكتبة الأزهرية،1993)

117 ميشال مسلان، علم الأديان مساهمة في التأسيس، تر: عزالدين عناية، ط 1(أبوظبي: دار كلمة،وبيروت:المركز الثقافي العربي، 2009)

118 نبيل السمالوطي، الدين والبناء الاجتماعي، ط1(جدة: دار الشروق،1981)ج2

119 نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط(دمشق: دار الفكر، 1972)

120 نوري إسماعيل، الديانة الزرادشتية، ط3(دمشق: دار علاء الدين، 1999)

121 واليس بيدج، الديانة الفرعونية، تر: نهاد خياطة، ط2(دمشق: دار علاء الدين، 1993)

122 ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري، ط1(القاهرة: دار الشروق،1996)

123 يان أسمان، موسى المصري حل لغز آثار الذاكرة، تر: حسام عباس الحيدري، ط 1(بغداد- بيروت: منشورات الجمل، 2009)

124 يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ط1(دمشق: دار صفحات، 2009)

ب- الكتب الأجنبية

125. Alix Ducret, les mythologies, s.éd (France: Studyrama , 2008)

126. Dictionnaire des religions, éd :3 (Paris :PUF, 1993) vol 2

127. Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, s.éd (Paris :Les édition du cerf, 1993)

128. Encyclopædia universalis, s.éd (Paris :?, 2002)vol6

129. Joël Schmidt, Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, s.éd(France: Larousse-Bordas , 2001)

130. Kamel Dahoumane El Hassani , L 'origine de la Bible, s.éd (Alger: Dar El Khaldounia, 2009)

131. Le dictionnaire de poche, s.éd(France: Histoires d' Encre , 2005)

132. Le Grand Larousse Encyclopédique, s.éd (Italie : Larousse, 2007)vol 2

133. Luc Benoit , signes symboles et mythes, éd :10 (Liban: Editions Point Delta, 2012)

134. Maurice-Ruben Hayoun , L’exégèse juive, éd :1 (Paris : PUF, 2000)

135. Oxford Advanced Learner's Dictionary, éd :7 (China : Oxford university press, 2005)

136. The New Encyclopædia Britannica, éd :15 (Chicago : Encyclopædia Britannica, 1993)vol3

ثانيا- الدوريات

137 حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2001، الحولية21، الرسالة160

138 المؤرخ العربي، جامعة بغداد، العراق، 1982، ع22

139 مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، غزة، فلسطين، 2008، المجلد10، العدد1-A

140 ملخصات أبحاث المؤتمر الدولي الأول لدراسات الشرق الأدنى القديم، المعهد العالي لدراسات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مصر، مارس2010

ثالثا- الرسائل الجامعية

141 العربي بن الشيخ، قصة الخلق-دراسة مقارنة بين اليهودية والإسلام، ماجستير، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1990-1991.

142 ليندة بوعافية، منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010.

143 مصطفى أوشاطر، الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، دكتوراه قسم : الثقافة الشعبية،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003

144 مغنية بنت مبروك حركات، تأثير الوثنية في العقيدتين اليهودية والمسيحية، ماجستير، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009-2010.

رابعا- المواقع الإلكترونية

145. مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان http://www.al-maktabeh.com

حملت من هذا الموقع:

بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس.

نخبة من أشهر أساتذة الكتاب المقدس واللاهوت، دائرة المعارف الكتابية.

146. مكتبة المصطفى الإلكترونية http://www.al-mostafa.com

حملت من هذا الموقع:

عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5.

ول ديورانت، قصة الحضارة، مج1

147. http://www.almadasupplements.com/news جريدة المدى اليومية

148. http://www.albabtainprize.org/Encyclopedia

مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري

149. http://www.alnoor.se/author مركز إعلامي ثقافي فني مستقل

150. http://ar.wikipedia.org الموسوعة الحرة (العربية)

151. http://en.wikipedia.org الموسوعة الحرة (الإنجليزية)


فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ملخص البحث

باللغتين العربية

والأجنبية

ملخص البحث

يندرج هذا البحث ضمن البحوث التي تعنى بدراسة العلاقة بين الديانة اليهودية وبيئتها التي ظهرت و تطورت فيها، وهي بيئة الشرق الأدنى القديم. و يختص هذا البحث بمقارنة أسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم و اليهودية، وذلك من خلال رصد أوجه التشابه و الاختلاف بين الطرفين، ثم محاولة تفسير نتائج المقارنة، وهو في هذا يختلف عن بعض البحوث التي حاولت تبيان أوجه التشابه و الاتفاق فقط، من أجل البرهنة على قناعات مسبقة. وقد وقع اختيارنا على أسطورة الخلق ؛ لأنها الأسطورة الأهم، بإطلاق، في أي نظام ميثولوجي، كما أن نصوص الشرق الأدنى غنية ، نسبيا، فيما يخص هذه الأسطورة.

و قد قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول:

جعلت الفصل الأول لضبط المصطلحات، حيث خصصت مبحثا لكل مصطلح، فكان المبحث الأول لمصطلح الأسطورة ، والذي اتضح أنه يعرف اضطرابا كبيرا من حيث الاستخدام ، و بعد أن تعرضت لعدد من التعريفات خلصت إلى أن الأسطورة هي قصة مقدسة ترتبط بعالم الإلوهية، وتتميز موضوعاتها بالجدية والشمول، وترتبط بالنظام الديني، حيث تقوم بتوضيح المعتقدات، والدخول في صلب الطقوس. ثم تطرقت بعد محاولة ضبط مفهوم الأسطورة، إلى بعض أشهر أنواعها.

أما المبحث الثاني، فخصصته لمصطلح أسطورة الخلق، وبينت أنها الأسطورة التي تتحدث عن أصل الكون وكيفية ظهور العالم و الإنسان إلى الوجود ، وهي على هذا تتخذ مكان المركز في أي نظام ميثولوجي. وبعد ضبط مفهومها حاولت ذكر أشهر أنواعها.

أما المبحث الثالث ، فكان لضبط مفهوم ديانات الشرق الأدنى القديم، و اتضح لنا أن هذه المنطقة تتكون من: مصر وبلاد الرافدين وسوريا الكبرى (كنعان) والجزيرة العربية و الأناضول وفارس . و لكن البحث اقتصر على ديانات الشعوب التي كانت لهم علاقة وطيدة باليهودية، كما أن لهم من الأساطير المكتشفة ما يمكن من عملية المقارنة، و هذه الديانات هي: ديانة بلاد الرافدين ومصر وكنعان وفارس. ثم تطرقت بعد ذلك لدراسة نصوص هذه الديانات.

و قد خصص المبحث الرابع للديانة اليهودية ونصوصها، وتبين لنا أن اليهودية كمصطلح يدل جماعة دينية، ظهر متأخرا، كما أن أسبابا سياسية وتاريخية هي التي رجحته و كتبت له الذيوع على حساب بقية الأسماء الأخرى. ووجدنا أن اليهودية رغم إصرار أتباعها على ربطها بموسى القائد والنبي باعتبارها وحي "يهوه" إليه، إلا أن كثيرا من الدراسات تربطها بشخصيات متأخرة عنه بكثير، خاصة شخصية "عزرا" الكاهن والكاتب الذي يعتبر مؤسس اليهودية الحقيقي. أما عن نصوص اليهودية، فتبرز التوراة كمحور لهذه الديانة وأساس لها، وما باقي النصوص إلا شروحات وحواشي عليها.

أما الفصل الثاني ، فعنونته بأسطورة الخلق في ديانات الشرق الأدنى القديم، وقسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في كل مبحث ديانة من ديانات المنطقة، وقد درست في كل مبحث صفات الخالق أولا، ثم عملية الخلق ثانيا. وخلصت إلى أن هذه الأساطير تشابهت في بعض النقاط، منها أسبقية المادة الهيولية الأولى على الخلق و أزليتها، وقد كان عنصر الماء أهم مكوناتها، وكثيرا ما كانت توصف هذه المياه الأولية بأنها مظلمة و راكدة و خربة، كما قسمت معظم الأساطير الخلق إلى مراحل متتابعة، كما ركزت على أهمية الإنسان ومحوريته بين باقي المخلوقات الأخرى، وذهبت أغلبية الأساطير إلى أن الإنسان يحمل عنصرا إلهيا في خلقه، وأنه خلق من طين الأرض. و بالمقابل اختلفت في نقاط أخرى، من أهمها: كيفية خلق العالم و الإنسان، والهدف من خلقهما.

أما الفصل الثالث فجعلته لأسطورة الخلق في اليهودية، وقمت بدراستها في التوراة فقط؛ وذلك لاستحالة تقصيها في باقي النصوص في هذه المذكرة الموجزة من جهة، ومن جهة أخرى لأن باقي النصوص اليهودية مجرد شروحات وحواشي على التوراة، لم تتفق كل الفرق اليهودية على صحتها، وعليه قسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، خصص المبحث الأول لصفات الخالق، والثاني للخلق حسب الرواية "الكهنوتية" في سفر التكوين؛ إذ أن هناك روايتين متمايزتين لخلق، وجعل المبحث الثالث للرواية "اليهوية" في سفر التكوين أيضا، أما المبحث الرابع فخصص للخلق في الأسفار الأخرى. وتبين لنا في هذا الفصل أن التوراة لا تقوم على تصور واحد للخالق مطرد في جميع أسفارها وفقراتها، بل نجد أن صفات الخالق وإن كانت تتفق والذات العلية أحيانا، إلا أنها في معظم الأحايين، أقرب إلى صفات

البشر بما فيهم من ضعف ونقص. وحسب كثير من النصوص التوراتية، نجد أن اللاهوت اليهودي يقوم على عقيدة التفريد، وهي دون التوحيد، بحيث لا تتجاوز تغليب إله على غيره من الآلهة، وتتصل بهذه العقيدة عقيدة شعب الله المختار، التي يظهر فيها"يهوه" كإله عنصري، قام باختيار الشعب اليهودي من بين جميع الشعوب كاختيار عرفي تلقائي، من دون أي سبب منطقي.

كما تبين لنا أن اليهودية تحتوي على قصتين متمايزتين للخلق، تنسب الأولى للمصدر "الكهنوتي" وسمي الخالق فيها "إلوهيم"، أما الثانية فتنسب للمصدر " اليهوي" وسمي الخالق فيها "يهوه". وبالإضافة إلى الاختلافات الكثيرة بين الروايتين، نجد أن الرواية تتناقض مع نفسها في بعض الأحيان، هذا علاوة على الكثير من التناقضات مع العلم والعقل. ورغم أن البعض يرى أن الطابع التجسيدي أظهر في الرواية الثانية منه في الأولى، إلا أننا نجد أن أسلوب هذه الأخيرة يهبط أحيانا إلى مستوى التشبيه والتجسيم الفاضح، ومن ذلك ما ورد فيها من أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه، و أن الخالق استراح بعد أن أتم خلقه، كما يظهر أن الخلق يأخذ طبيعة عشوائية تجريبية...

أما الفصل الأخير، وهو الفصل الرابع فقد أفرد للمقارنة بين ديانات الشرق الأدنى والديانة اليهودية، وذلك وفق ثلاثة مباحث، عني المبحث الأول بصفات الخالق، أما المبحث الثاني فبخلق العالم، والمبحث الثالث بخلق الإنسان، وختمت هذا الفصل بمبحث رابع جعلته كتفسير لما سبق من أوجه الائتلاف والاختلاف. وقد أكدت تلك المقارنات أن الأساطير اليهودية تتشابه كثيرا مع أساطير الخلق في الشرق الأدنى القديم، فنجدها أحيانا تتطابق في تتابع مراحل الخلق، وأحيانا في مادة الخلق أو كيفيته أو هدفه...كما نجد أحيانا تطابقا في بعض الأجزاء من النصوص شكلا ومضمونا، هذا فضلا عن التشابه الكبير في صفات الخالق نفسه. وهذا كله يؤيد فرضية اعتماد كتاب التوراة على أساطير هذه الديانات، خاصة إذا علمنا أن نصوص الشرق الأدنى أقدم بكثير من نصوص التوراة، بالإضافة إلى أن اليهود عبر تاريخهم الطويل كانوا يلعبون دائما دور التابع المتلقي في ظل حضارات المنطقة، ومن ذلك أن "عزرا" مدون التوراة كان أحد الموظفين بالدواوين الفارسية ، وبصريح التوراة نجد أن الشعب اليهودي ارتد عديد المرات وعبد بعض آلهة تلك الشعوب وذلك بمباركة حكامه وكهنته...

ورغم تلك التشابهات السابقة ، فإن اليهودية اختلفت في بعض المناحي عن الكثير من ديانات الشرق الأدنى القديم، وبعض هذه الاختلافات أعطى لليهودية شكلا متميزا وخاصا وسط تلك الديانات، ومن هذه الاختلافات القول بخالق واحد لكل ما في الوجود، الابتعاد عن أساطير الحلول الإلهي، تحول الطبيعة من قوة خالقة إلى قوة مخلوقة، أسلوب الخلق كان عن طريق الكلمة المعبرة عن الإرادة الإلهية، كما تضمنت بعض الفقرات التوراتية نظرة توحيدية راقية... وإذا كانت هذه النقاط تحسب لليهودية، حيث شكلت أحد المنعطفات البارزة في الفكر الديني القديم، لكننا نجدها بالمقابل نزلت أحيانا دون مستوى بعض هذه الأديان في تصورها للخالق، ومن ذلك عالمية "آتون" أو "أهورامزدا" مقابل عنصرية "يهوه"، والتجسيم الذي ألصق بهذا الأخير و تنزهت عنه بعض أديان المنطقة.

Résumé de la recherche

Cette recherche s'inscrit dans le cadre des recherches visant à étudier la relation entre le judaïsme et son environnement dans lequel il a apparu et s'est développé, savoir l'ancien Proche-Orient. Cette recherche se spécialise dans la comparaison du Mythe de la création dans les religions de l'ancien Proche-Orient et le judaïsme, et cela en observant les ressemblances et les différences entre les deux parties et d'essayer par la suite d'interpréter les résultats de cette comparaison. Cette recherche se diffère des autres qui ont essayé de montrer que les similarités, afin de prouver des convictions antérieures. Nous avons choisi le mythe de la création, étant considérée comme la plus importante, à titre absolu, dans tous systèmes mythologiques, de plus, les textes du Proche-Orient sont relativement riches en ce qui concerne ce mythe.

Nous avons réparti cette recherche en quatre chapitres :

Le premier chapitre a été consacré à la mise à point de la terminologie, dont une étude a été réservée à chaque terme. La première partie était consacrée au terme « Mythe » qui se trouve devant un bouleversement majeur en matière d'utilisation, et après avoir fait face à de nombreuses définitions, j'ai conclu que le mythe est une histoire sacrée ayant trait avec le monde divin, que ses sujets se caractérisent par leur sérieux et universalisme, se reliant au système religieux, où elle explique les croyances et rentre au sein des rituels. Ensuite et après la tentative de mise à point du concept du « Mythe » j'ai abordé certains de ses types célèbres.

J'ai consacré la deuxième partie pour le concept de « Mythe de la création », dont j'ai montré que c'est le mythe qui parle de l'origine de l'univers, comment le monde et l'être humain sont apparus à l'existence, et c'est sur cela qu'elle forme le centre dans le système mythologique. Qu'après explication dudit concept, j'ai essayé d'aborder certains de ses fameux types.

Par la suite, la troisième partie était réservée à la mise à point de la définition des religions de l'ancien Proche-Orient et que nous avons découvert que cette région est composée de : l'Egypte, la Mésopotamie, la grande Syrie (Canaan), la péninsule Arabique, l'Anatolie et Perse. Mais la recherche sera limitée aux religions des peuples qui ont relation étroite avec le judaïsme, aussi leurs mythes découverts permet le processus de la comparaison, et ces religions sont : la religion de la Mésopotamie et de l'Egypte, de Canaan et de perse. Puis je me suis consacré à l'étude des textes de ces religions.

La quatrième partie est dédiée au Judaïsme et ses textes, par ce biais nous avons conclu que le judaïsme comme terme, désigne un groupe religieux, apparu tardivement, c'est les raisons politiques et historiques qui lui ont donné ce nom au détriment des autres noms. Nous avons aussi trouvé que malgré l'insistance de ses adeptes sur les liens avec « Moïse » le chef et le prophète, mais la plupart des études la relie à d'autres personnalités venus très longtemps après lui, notamment la personnalité de « Esdras » le prêtre et le scribe qui est considéré comme le vrai fondateur du judaïsme. La Torah est le centre et la base de cette religion, et le reste des textes n'est que des explications et des notes.

Le deuxième chapitre, est intitulé « Mythe de la création dans l'ancien Proche-Orient » je l'ai divisé en quatre parties, chaque partie est consacrée à une religion parmi les religions de la région, j'ai étudié d'abord dans chaque partie les attributs du Créateur, ensuite l'opération de la création, où j'ai conclu par la suite, que ces mythes se ressemblent dans certains points, parmi eux la priorité du premier article chaotique sur la création et son éternel, et l'eau était parmi ses composants essentiel. Ces eaux initiales ont été souvent décrites comme des eaux sombres, stagnantes et vagues. Ainsi la plupart des mythes compose la création en étapes successives, comme elle a mis l'accent sur l'importance de l'homme entre les autres créatures; et que l'homme porte en lui un élément divin, et qu'il est créé avec la glaise du sol. Par contre

elles se différencient dans d'autres points, les plus important sont : comment l'homme et le monde sont créés, et le but de leur création.

Tandis que le troisième chapitre parle de « Le Mythe de la création dans le judaïsme », je l'ai étudié seulement dans la Torah ; parce que d'une part à cause de l'impossibilité de l'étudier dans les autres textes dans ce brève mémoire, dans d'autres parts le reste des textes juifs sont juste des explications et notes sur la Torah, que ne sont pas tous les juifs mis d'accord sur son authenticité. C'est pour cette raison que ce chapitre a été divisé en quatre parties, on a consacré la première partie pour les attributs du Créateur, la deuxième pour la création selon le récit sacerdotal dans la Genèse ; parce qu'il y a deux récits tranchés pour la création. La troisième partie parle du récit yahviste dans la Genèse. Par contre dans la quatrième partie on s'est basés à la création dans les autres livres. Et nous avons conclu que la Torah ne repose pas sur un seul concept du Créateur régulier dans tous ses livres et versets, et malgré que les attributs du Créateur sont parfois cohérentes avec l'être suprême mais parfois elles sont plus proche aux caractères de l'homme y compris la faiblesse et le manque... Selon beaucoup de textes de Torah, nous trouvons que la théologie juive se fonde sur la doctrine de l'hénothéisme, et se relie à cette croyance la croyance du peuple élu de Dieu, dans laquelle se montre « Yahvé » comme un dieu raciste, qui a choisi le peuple juif parmi tous les peuples comme un choix automatique coutumier sans aucune raison logique.

On nous montre aussi que le judaïsme comprend deux récits tranchés sur la création, le premier est attribué à la source sacerdotale dans lequel le Créateur est appelé « Elohim », par contre le deuxième est attribué à la source yahviste dans lequel le Créateur est appelé « Yahvé », en plus de plusieurs différences qui existent dans les deux récits, on trouve que le récit se contredit parfois, par ailleurs beaucoup de contradictions avec la science et

la raison. Et malgré que certains voit que le caractère de l'anthropomorphisme apparait plus dans le deuxième récit, cependant nous constatons que le style du premier récit descend parfois au niveau de l'anthropomorphisme scandaleux, et de leur contenu, Dieu créa l'homme à son image comme lui ressemblance, et que le Créateur se reposa après avoir fini sa création, il se montre également la création prend la nature expérimentale aléatoire…

Enfin le quatrième et le dernier chapitre, a été dédié pour faire la comparaison entre les religions du Proche-Orient et le judaïsme, et cela suivant trois parties, la première à l'étude de les attributs du Créateur, par la suite et dans la deuxième partie la création du monde, enfin la troisième partie à la création de l'homme. J'ai conclu ce chapitre par une quatrième partie dont j'ai donné une explication sur ce qui a dit en ce qui concerne les ressemblances et les différences. Ces comparaisons ont confirmé que les mythes juives se ressemblent beaucoup avec les mythes de la création dans l'ancien Proche-Orient, où on la trouve parfois se correspondent dans la succession des étapes de la création et parfois en matière de la création ou dans sa méthode ou dans sa but…parfois on trouve aussi des similarités en forme et en contenu dans certains parties des textes, de plus la grande ressemblance dans les attributs du Créateur lui-même. Et tout cela confirme l'hypothèse que la Torah dépend sur les mythes de ces religions, surtout si nous savons que les textes de l'ancien proche –orient sont plus ancien que les textes de la Torah, en plus les juifs durant toutes leur histoire ont joué le rôle du récepteur dans le cadre des civilisations de la région. Il en est ainsi « Esdras » l'écrivain de Torah était un des fonctionnaires dans l'Empire perse, et nous trouvons aussi que le peuple juif a apostasié plusieurs fois et a cru à certains dieux des peuples avec la bénédiction de leurs dirigeants et prêtres…

Malgré ces précédentes similarités, le judaïsme se différencie dans certains points de majorité des religions de l'ancien Proche-

Orient, certains de ces différences a donné au judaïsme une forme exceptionnelle et spéciale au sein de ces religions, et parmi ces différences: la croyance en un seul Créateur, la nature s'est transformée d'une force créatrice en une force crée, comme elle s'est éloignée les mythes de l'incarnation divine**,** le style de la création était par la parole expressive de la volonté divine, certains versets de la Torah ont inclus un vrai regard monothéiste… et si ces points comptaient pour le judaïsme où elle forme une importante conjoncture dans l'ancienne pensée religieuse, par contre parfois on trouve qu'elle descend sans le niveau de certains de ces religions dans le concept du Créateur, et de là l'universalité de « Aton » ou « Ahura Mazda » face au racisme de « Yahvé », et l'anthropomorphisme qui lui a été collé et qui a était ignoré par d'autres religions de la région.

Université d’Alger -1-

Faculté des sciences islamiques

Département des dogmes et religions

Mythe de la création dans les religions de l'ancien proche-orient et le judaïsme
- Etude comparative -

Mémoire présenté pour l’obtention du diplôme de magister en sciences islamiques

Spécialité : religions comparées

Préparé par:
Rabah Bouterfas

Encadré par:
Pr. Dr Chafia Seddik

Les membres du jury

Nom et Prénom	Grade	Université d'origine	Qualité
Dr. Youcef Addar		Université d’Alger	Président
Pr. Dr Chafia Seddik	Professeur de l'enseignement supérieur	Université d’Alger	Rapporteur
Dr. Omar Al Hakim		Université d’Alger	Membre
Pr. Lilia Chentoh		Université d’Alger	Membre

Année universitaire:

1433-1434 / 2012-2013

Université d’Alger -1-

Faculté des sciences islamiques

Département des dogmes et religions

Mythe de la création dans les religions de l'ancien proche-orient et le judaïsme - Etude comparative -

Mémoire présenté pour l’obtention du diplôme de magister en sciences islamiques

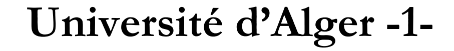
Spécialité: religions comparées

Préparé par l’étudiant:

Rabah Bouterfas

Année universitaire:

1433-1434 / 2012-2013



Université d'Alger -1-

Faculté des sciences islamiques

Département des dogmes et religions

Mythe de la création dans les religions de l'ancien proche-orient et le judaïsme - Etude comparative -

Mémoire présenté pour l'obtention du diplôme de magister en sciences islamiques

Spécialité: religions comparées

Préparé par l'étudiant:

Rabah Bouterfas

Année universitaire:

1433-1434 / 2012-2013